٢١٨

ب.خ السير والسلوك الى ملك الملوك، تأليف قاسم بن صلاح الدين
الخاني، الحلبي، الحنفي، الخاني (١٠٢٨-١١٠٩هـ).
كتبت في سنة ١٢٧٦هـ).
٨٦ ق مختلفة المسطرة
نسخة حسنة، أوراقها منفرطة، خطها معتاد، ٢٣×١٦سم
هدية العارفين ١: ٨٣٣، معجم المطبوعات ٢: ١٤٨٢، طبع
٣٢١٤ ز ١- الشعائر والتقاليد والأخلاق الاسلامية أ- الخاني،
قاسم بن صلاح الدين ت ١١٠٩هـ ب- تاريخ النسخ.

المملكة العربية السعودية

جامعة الرياض

DEAN
UNIVERSITY LIBRARIES

عمادة شؤون المكتبات

Riyad University

RIYAD, SAUDI ARABIA

No. ٣/٢/١٤ .... : الرقم Date .... : التاريخ

١/٧٧١٥
٢١/٤/١٤٠٠هـ

~~٢/٧٣٥٥~~
~~١٠/٢/١٤٠٠هـ~~

ك
(١)

كتاب السير والسلوك الى ملك الملوك
تاليف الشيخ المرشد المحقق والامام
المدقق العلامة الشيخ قاسم الخاني
نزيل حلب رحمه الله
تعالى ونفعنا
ببركاته امين
والحمد لله

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اهبط بحكمة اسرار ذاته من سماء العما الى
ارض الطبيعة الكثيفه واودعها بقدرته في صدق النطق ظاهرا
لخواص الاسماء فاحتجبت بالظلمات النفسانيه حجابا انساها
ما كانت عليه من الكمالات فمالت الى الشهوات وركنت الى المحسوسات
والفت العادات فلم تذكر اوطانها ولا خطر ببالها من
مبادئها العليه ثم ارسل اليها رسلا على صورتها الظاهره
ورسلا على صورتها الباطنه اوقدوا في ظلماتها مصابيح
ملكوتيه فادركت ما علته من الخبائثات وما فيها من الاستعداد
الى الوصول الى الكمالات والدرجات العليه فجدت واجتهدت
وطلبت من مبدعها كشف ما سترها من الحجب النورانيه والظلمانيه
فتقرب منها لما تقربت منه بهذا الطلب وجذبها جذبة لو
انتزعها طباعها وما كانت عليه من العادات فوصلت بها
الى الحضرة الاحديه فاستهلكت صفاتها في صفاته
اذ لم يبق فيها ما ينازعه في ربوبيته لاتصافها بكمال
العبوديه فناداها ببعض اسمائها يا ايتها النفس المطمئنه
ارجعي الى ربك راضية مرضية وامرها بالدخول في عبادته
تحقيقا للخلافه الادميه فخلعت عليها خلع القيوميه والكمالات
الابديه والصلاة والسلام على سيد الانام ومصباح الظلام

وخير

وخير البريه وعلى اله واصحابه الفايزين ببركة صحبته
بالافضليه ومقام القطبيه وبعد فان سلوك طريق الحق
من اخلاق النبيين والمرسلين وخلاصة عباد الله الصالحين
الذين قال في حقهم رب العالمين ان عبادي ليس لك
عليهم سلطان وهو امر ممكن متيسر على من يسره الله
عليه وهم النفس الطاهره اصحاب الاستعدادات الكامله
والطباع السليمه الذين لا رغبة لهم في لذات الدنيا ولا
في نعيم الاخره قلوبهم متوجهة نحو مليكهم لا يسكتون
الا لذكره ولا يتفوهون الا بتلاوة اسمه يدعون له
الظلال بالنهار ويحنون لغروب الشمس كما يحن الطير الى
الاوكار فاذا جن الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب
بحبيبه نصبوا لمحبوبهم اقدامهم وفرشوا له وجوههم وناجوه
بكلامه وتملقوا له بانعامه بين صارخ وباك وبين متاوه
وشاك وبين قايم وقاعد وبين راكع وساجد باعوا لذاته
الحواس الظاهره بما ظهر لهم بالبصاير الباطنه وهو اعني
سلوك طريق الحق متعسر على من هبط الى سجين الطبيعه
واسفل السافلين فانخرط في سلك الحيوانات وانحبس في قفص
العادات واصطيد بشبكة المخالفات ولم يصبه شيء من
النور الذي القاه الله على عباده حين خلق الخلق

فى الظلمة كما جاء فى الحديث يعنى ظلمة الطبيعة فبقوا على ضلالهم
فلم يهتدوا اذا ابدا وهذا الطريق لسلوكه منازل معلومة
عند اهله يقطعها السالك واحدة بعد واحدة الى ان يصل
الى اخرها فينقطع السلوك ولا تنقطع التجليات لانها لا اخر
لها وهذا معنى قول الشيخ ان الترقي لا ينقطع ولا بعد الموت
فحال هذا السالك فى قطع هذه المنازل كحال المسافر
فى قطع مراحل الطريق المحسوسة فكما يحتاج المسافر فى سفره
الى الدليل العارف بالطريق والى الزاد والراحلة والرفاق
والسلاح لملاقاة العدو وارهابه فكذلك هذا السالك
لا بد له من مرشد عارف بهذا الطريق قد سلكه وعرفه
وعرف خيره وشره ولا بد له من زاد وهو التقوى ولا بد له
من راحلة وهي الهمة ولا بد له من رفاق وهم اخوانه
الطالبين مطلبه ولا بد له من سلاح وهو الذكر يرهب
بها عدويه وهما الشيطان والنفس وكما ان المسافر يمر على
بلاد ومداين ويقيم فيها ثم يرحل عنها متوجها الى مطلبه
كذلك السالك يمر فى سيره على المقامات المشهورة بين اهل
الله تعالى وهي سبعة الاول منها مقام مظلمات
الاغيار وتسمى النفس فيه بالامارة الثاني مقام الانوار
وتسمى النفس فيه باللوامة الثالث مقام الاسرار وتسمى

النفس

النفس فيه بالملهمة الرابع مقام الكمال وتسمى النفس فيه
بالمطمئنة الخامس مقام الوصال وتسمى النفس فيه
بالراضية السادس مقام تجليات الافعال وتسمى النفس
فيه بالمرضية السابع مقام تجليات الصفات والاسماء
وتسمى النفس فيه بالكاملة وكلما كان الانسان فى مقام من
هذه المقامات كان محجوبا به عما بعده فمن كان فى المقام
الاول فهو محجوب بالاغيار عن مشاهدة الانوار ومن كان
فى الثاني فهو محجوب بالانوار عن الاسرار ومن كان فى الثالث
فهو محجوب بالاسرار عن الكمال ومن كان فى الرابع فهو محجوب
بالكمال عن الوصال ومن كان فى الخامس فهو محجوب بالوصل
عن تجليات الافعال ومن كان فى السادس فهو محجوب بتجليات
الافعال عن تجليات الاسماء والصفات ومن كان فى السابع
فهو محجوب بتجليات الاسماء والصفات عن تجلى الذات
وتجلى الذات ممتنع لانه يعطي ظلمة كالنظر الى الشمس
فان الناظر اليها لا يبصر شيئا ولذلك قالوا ان الحق لا يتجلى
من حيث ذاته على الموجودات الا من وراء حجاب من حجب
الاسماء فغ اعلى المقامات تجلى الاسماء والصفات
واما تجلى الذات فهو شيء لا يمكن مع ان القوم رضي الله
عنهم يذكرونه ويعرفونه وسيرد عليك تعريف تجليات

الافعال وتحبيات الصفات وتجلى الذات مفصلا
فى المقدمه انشا الله تعالى واعلم ان بين العبد وربه
سبعين الف حجابا من ظلمة ونور كما جا فى الحديث الشريف
وهي ترجع الى العبد لان الله تعالى لا يحجبه شئ لانه لو
كان له حجاب لكان له قاهر وهو القاهر فوق عباده
فالمحجوب فى الحقيقة هو العبد والمراد من الحجب عند التحقيق
بعد المناسبة فافهم فانه دقيق ولا تعتقد ان الحجب امور
حسية ولا ان البعد بعد مسافة كما يفهمه القاصرون فانه
تعالى منزه عن البعد والقرب الحسيين ومنزه عن الجهة
والمكان والزمان وغير ذلك من سمات الحوادث وسلوك
الطريق جعل لتمزيق هذه الحجب السبعين وهي ترجع الى السبع
مقامات المذكورة والنفس فى كل مقام محجوبة بعشرة حجب
الاول منها اكثف من الثانى والثانى اكثف من الثالث
وهكذا الى العاشر والتاسع اكثف من العاشر وكذلك حجب
كل نفس اكثف من حجب النفس التى بعدها الى النفس
السابعة هذا كلما وصل السالك الى مقام من المقامات
السبعة يزعم انه وصل الى الله تعالى اذا عرفت هذا عرفت
ان ابعد ما يكون العبد من ربه اذا كان فى المقام الاول لان
النفس فيه امارة بالسوء وسنذكر اوصافها في بابها بل اوصاف
غيرها

٣ بالحجب الظلمانية وما عداها من النفوس الباقية فهي محجوبة بالحجب

غيرها من النفوس حتى يعلم السالك فى اي مقام هو لان
كل نفس من النفوس لها صفات وسير وعالم ومحل وحال
ووارد وهذا اعنى النفس الامارة محجوبة بحجب نورانية
وبعضها ادق من بعض كما ذكرنا فالسالك اذا كان فى المقام
الاول وتلقى الاسم الاول من الشيخ وداوم على تلاوته
مع الاكثار آناء الليل واطراف النهار جهرا وسرا قياما وقعودا
اوقد الله فى باطنه ببركة هذا الاسم مصباحا ملكوتيا فيرى
بعين قلبه القبائح التى هو منطو عليها كارها لها مستنكرا
اتصافه بها متحسرا على ما فاته من الاوقات بعد ما كان
فى غفلة لا يعرف القبيح من الحسن الا باللسان فيشمر
ويسعى على الخلاص مما فيه من القبائح الظاهرة كشرب
الخمر والزنا ولبس الحرير وغير ذلك وعلى اخراج ما
فيه من القبائح الباطنة كالكبر والحقد والشحنا وامثال
ذلك وكلما زاد من الذكر وداوم عليه زادت كراهته
لافعاله القبيحة وزاد سعيه فى الخلاص منها وهذا امر
محقق لا ينكره الا من لم يجربه وهذه اول كرامة يكرم
بها الله تعالى هذا السالك تبعثه على قطع الطريق
وله فى كل مقام كرامة بل كرامات ليثبت والمصباح هو

المذكور هو اول الجذبة الرحمانية وكلما داوم السالك على
الذكر مع المجاهدة قوي الجذب حتى يصل الى اعلى درجات
الكمال فيقوى على حمل الامانه وعلى التجليات ولما شاع
بين من اقعدهم الكسل والاهمال عن الطريق الموصل الى
الدرجات العلى ولم يتجاوزوا ادراك الحواس الظاهرة اصلا
ان طريق المحققين قد انهدمت اركانها واندرست آثارها
ومات اهلها ولم يبق منها الا الرسم كتبت هذه الرسالة
وبينت فيها كيفية السلوك واحوال السالكين والسلوك
وما يحتاج اليه السالك في قطع الطريق والوصول الى التحقيق
لتنقطع اعذار المقصرين وتزداد همم الداعين في السير
لرب العالمين ولا شك ان كل من سار على الطريق وصل
الى منتهاه وطريق الحق واضح بين لكنه مع الاهوا الشيطانيه
والشهوات النفسانيه لا يكون واضحا قال العارف بالله
ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكن الاهوا عمت فاعمت
وسميتها السير والسلوك الى ملك الملوك ورتبتها
على مقدمة وعشرة ابواب وخاتمة فالمقدمة في تعريف
ما يحتاج الى ذكره هنا من اصطلاحات اهل التحقيق حتى
كلما مرت بك كلمة غريبة المعنى ترجع الى المقدمة فتراها
مفسرة بكلام تفهمه لان من لم يعرف اصطلاحات القوم رضي
الله

الله تعالى عنهم لا يفهم كلامهم الباب الاول في ذم الدنيا
ولذاتها وبيان حقيقتها الباب الثاني في الحث على سلوك
هذه الطريقة وبيان فضلها وذكر الصفات الذميمة
المانعة عن الوصول الى الكمال وذكر الاوصاف الحميدة
الموصلة للكمال الباب الثالث في بيان المحبة التي
بين العبد وربه وما يحتاج اليه من تجريدها وتفريغها
عن اللطيفة الانسانية من التوبة والانابة والتجرد
عن الاسباب وغير ذلك مما لا بد منه الباب الرابع
في بيان النفس الامارة وسيرها وعالمها ومحلها وحالها
وواردها وصفاتها وقبائحها وكيفية الخلاص منها
والترقي عنها الى المقام الثاني الذي تكون النفس فيه
لوامة الباب الخامس في بيان النفس اللوامة ومحاسنها
وقبائحها وصفاتها الباب السادس في بيان النفس
الملهمة وما تشتمل عليه من الجمع بين الخير والشر والصفات
المختلفة الا انها محل الخطر الباب السابع في بيان النفس
المطمئنة وما فيها من الكمال بالنسبة الى ما دونها من
النفوس الباب الثامن في بيان النفس الراضية
ومحاسنها الباب التاسع في بيان النفس المرضية
وعجائبها الباب العاشر في بيان النفس الكاملة وفروعها

Copyright © King Saud University

وعبوديتها الخاتمة فى بيان صفات المرشد وبيان اوصافه
واحواله وبه يعرف من يصلح للارشاد ومن لا يصلح وفى بيان
المريد القابل للسلوك والمريد الغير القابل وفى بيان مداخل
الشيطان وانواع ظهوره وكيف يظهر لاهل كل مقام بما يناسبهم
ليستعين به السالك على اضلالهم وصلى الله على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم المقدمة فى تعريف ما يحتاج
الى ذكره فى هذه الرسالة من اصطلاحات اهل الطريق التحقيقية
التصوف هو الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهرا وباطنا فيرى
حكمها من الظاهر فى الباطن ومن الباطن فى الظاهر فيحصل
من الحكمين كمال لم يكن بعده كمال الشريعة هى فعل الاوامر زات
وترك المنهيات الطريقة هى تتبع افعال النبى صلى الله
عليه وسلم والعمل بها الطب الروحانى هو العلم بكمالات
القلوب وآفاتها وامراضها ودوائها وكيفية حفظ صحتها
واعتدالها المرشد السالك هو الشيخ العارف بذلك
الطب القادر على الارشاد المراقبة هى استدامة
علم العبد باطلاع الرب عليه فى جميع احواله المشاهدة
هى رؤية الحق فى كل ذرة من ذرات الوجود مع التنزيه
عما لا يليق بعظمته الشهود رؤية الحق بالحق التجلى
هو ما ينكشف لقلب السالك من انوار الغيوب فان كان

مبدأه الذات من غير اعتبار صفة من الصفات سمى تجلى
الذات واكثر الاولياء ينكرونه ويقولون انه لا يحصل الا
بواسطة صفة من الصفات فيكون هذا من تجلى الاسماء
الذى هو قريب من تجلى الصفات فان كان مبدأه
صفة من الصفات من حيث تعينها وامتيازها
عن الذات سمى تجلى الصفات وان كان مبدأه
فعلا من افعاله تعالى سمى تجلى الافعال فتجلى الاسماء
هو ما ينكشف لقلب السالك من اسمائه تعالى فاذا
تجلى على السالك باسم من اسمائه اصطلم ذلك
السالك تحت انوار ذلك الاسم بحيث يصير اذا
نودى الحق تبارك وتعالى بذلك الاسم اجاب
ذلك السالك وتجلى الصفات هو ما ينكشف
لقلبه من صفاته تعالى فاذا تجلى على السالك
بصفة من صفاته وذلك بعد فناء صفات السالك
بهم يملى ذلك السالك اثار تلك الصفة بفضل
الله تعالى مثلا اذا تجلى الحق عليه بصفة السمع
صار يسمع نطق الجمادات وغيرها وقس على غيرها من
الصفات وتجلى الافعال هو ما ينكشف لقلب السالك
من افعاله تعالى فاذا تجلى الحق تعالى على السالك

Copyright © King Saud University

بفعل من افعاله انكشف لسالك جريان قدرة الله تعالى
فى الاشيا فيرى انه تعالى هو المحرك وهو لكن شهودا
حالىا لا يعرفه الا اهله وهذا التجلى مزلة الاقدام فيخشى
على السالك منه لانه لا ينفى الفعل عن العبد بالكلية
ولكن يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت واعلم ان
تجلى الافعال سابق على تجلى الصفات والاسما كالحكم
فان ثبت السالك واقام الحدود الشرعية على نفسه مع
شهود ان المحرك والساكن هو الله تعالى ترقى من
هذا التجلى الخطر الى تجلى الاسما والصفات وان لم
يثبت تزندق ورجع من الطريق وهبط الى اسفل
السافلين ولا حول ولا قوة الا بالله العظيم الشوق
اهتياج القلوب الى لقا المحبوب المحبة هى ميل
الطبع الى الشئ لكونه لذيذا او محبة السالكين ميل
قلوبهم الى جمال الحضرة الالهية الحال هو معنى
يرد على القلب بلا تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب
من طرب او حزن او قبض او بسط او هيبة
او غير ذلك مما يرد على قلب السالك فان زال عن
القلب اسم فهو يسمى حالا وان دام وصار ملكة
يسمى مقاما والمقامات تحصل ببذل المجهود

علم

علم اليقين هو العلم الحاصل من الدليل العقلى عين اليقين
هو العلم الحاصل من فناء صفات العبد فى صفات الحق
وبقاؤه بها علما وشهودا وحالا لا علما فقط فالذى يفنى
من العبد على التحقيق صفاته لا ذاته فح لا بد من بقاء
عين العبد الفانى فلا تفنى ذاته فى ذات الحق كما يفهمه
الجاهلون الذين كذبوا على الله تعالى بل ان العبد
كلما تقرب الى الله بالعبودية واظهار الفقر والضعف
جميع الصفات المنافية للعبودية وهبه الله تعالى
فضلا منه صفات حميدة خفية عوضا عما فنى منه من
الصفات الذميمة الخلقية والله تعالى هو القادر على كل
شئ والعبد هو العاجز عن كل شئ لكنه متى شا اذهب
عن العبد ما فيه من الخباثات واحده بما يعجز عنه كل
ما سوى الله تعالى فلا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع
ولا راد لما قضى ولا معقب لما حكم فاذا وهب عبده
العاجز ما وهبه تصرف فى الاكوان بارادة سيده
وقد مثلوا لذلك مثلا وهو ان القطعة فى الفحم اذا
وقع عليها ضوء النار لكن لا بسبب المقابلة بل بسبب
وقوع ضوئها على حائط مثلا ثم انعكس الضوء من
الحائط على قطعة الفحم فاضائت وهذا مثال لعلم اليقين
واذا وقع ضوء النار عليها بسبب المقابلة بان لم يكن

Copyright © King Saud University

بينه وبين النار حجاب فهو مثال لعين اليقين واذا كانت
قطعة الفحم بجانب النار بحيث تشتعل من حرارتها
وتفنى اوصافها في اوصاف النار بحيث تتبدل ظلمتها
باشراق النار وبرودتها بحرارة النار وانفعالها بفعل
النار وهذا مثال لحق اليقين وهذا التحقيق ماخوذ
من كلام الشيخ محي الدين وغيره فتفطن ولا تعتقد فنا
ان ذات العبد تفنى في ذات الحق فلا يبقى الا الحق فان
هذا ضلال وجهل لا يرضى به المحققون وان وقع من
اصحاب الشطح ما يشعر بذلك فان الشطح مردود على
اهله الشطح عبارة عن كل كلمة عليها رائحة رعونة
ودعوى وهو من زلات السالكين السر هو
اللطيفة الربانية وهو باطن الروح فان تنزل بدرجة
كان روحا وان تنزل درجة اخرى سمي قلبا وجمعه
اسرار الملكوت هو عالم الغيب المختص بالارواح
والنفوس المجرده المرتبة الاحدية هي المرتبة المستهلكة
في جميع الاسماء والصفات وتسمى جمع الجمع العما هو
المرتبة المطلقة عن الاطلاق والتقييد المتعالية
عن التعالي والتدلي وهو البطون الذاتي العمائي
الذي لا يتصف بالخفية ولا بالخلقية بل هو متعال

عنها

عنها تضمحل فيه الاسماء والصفات كالاحدية الا ان الاحدية
قد تفهم معناها والعما لا تفهم معناه وليس فيه تجلي الا لله
تعالى فليس للمخلوق فيه نصيب الا من ترقى من حضيض
الطبيعة الى اوج الحقيقة وقطع المقامات كلها توصل الى
المقام المسمى عند القوم مقام العجز عن درك الادراك
ادراك واما التحقق به فليس للعبد فيه نصيب
وهذا التجلي هو تجلي للذات الذي سر انه ممتنع فافهم
وهنا قال الصديق رضي الله عنه العجز عن درك الادراك
ادراك فان السالك يسلك على المقامات وينكشف له
في كل مقام عن نور من انوار الذات وذلك بحسب استعداده
فيعرف بذلك النور ربه وخالقه فاذا سلك على
جميع المقامات وظن انه قد تمم المعرفة وصل الى مقام
تحقق فيه ان الذات شيء من خاصيته انه لا يعرف
فيقول عند ذلك العجز عن درك الادراك ادراك
يعني انه قد ادرك ان الذات لا تعرف وهذا اعلى
المقامات فافهم ولا تظن ان صاحب هذا المقام لم يدرك
شيئا لان من لم يصل الى هذا المقام فهو ناقص المعرفة
ومن وصل اليه فهو كامل المعرفة ومن وصل الى هذا المقام
القطب المعروف بالواسطي لانه سئل عن حقيقة الحق فقال

Copyright © King Saud University

حقيقة لا يعلمها الا الحق وفى هذا المقام يقول السالك رب
زدنى فيك تحيرا يعنى الحيرة المغفلة التى تتكثر وتتنوع
فيها التجليات الاسمائية والصفاتية لا الحيرة المذمومة التى صلة
فى اول السلوك فافهم فانه دقيق اللطيفة هى القوة
السارية فى الاجسام بها يصل الجسم الى كماله الطبيعى العبو ديه
هى الوفا بالعهود وحفظ العهود كالحدود والرضا بالموجود
والصبر على المفقود الطمس ذهاب رسوم السالك
بالكلية فى صفات الله تعالى فهو على انواع الفنا الفنا
يقال على ماذكرناه فى حق اليقين ويقال على سقوط
الاوصاف المذمومة بكثرة الرياضة ويقال على عدم
الاحساس بعالم الملك البقا وجود الاوصاف المحمودة
فى السالك بسبب الرياضة وهو نتيجة الفنا فمتى تم الفنا
حصل البقا كما عرفت فى حق اليقين الهوية السارية
فى جميع الموجودات هى عبارة عن الذات العلية الملاحظة
لابشرط شئ ولابشرط لاشئ الفهوانية خطاب الحق
للسالك بطريق المكافحة فى عالم المثال القبض والبسط
حالتان يحصلان للسالك المتوسط فى الطريق كما ان الخوف
والرجا يحصلان للمبتدى فالقبض والبسط يردان على قلب
العارف بغير سبب والخوف والرجا يتعلقان بأمر مستقبل

مكروه

مكروه او محبوب الهيبة والانس حالتان فوق القبض
والبسط كما ان القبض والبسط فوق الخوف والرجا
والهيبة مقتضاها الغيبة والانس مقتضاه الصحو والا فاقه
الغضب هو قوة حمية يغلى بها دم القلب لطلب الانتقام
الحقد هو اخفا العداوة فى القلب لمحل القدرة على الانتقام
الحسد هو كراهة ان تكون النعمة على الغير فيحب زوالها
وهو المذموم من نوعى الحسد واما الحسد الذى هو غبطة
فهو انه لا يكره النعمة على الغير ولا يريد زوالها ولكن يريد
لنفسه مثلها وهذا الحسد محمود الكبر صفة فى النفس
تنشأ من رؤية النفس ومايظهر من التكبر والتعاظم بتخيل
كمال من علم او عمل الغرور هو اعتقاد الشئ على خلاف
ما هو عليه وهو نوع من الجهل واصناف المغترين كثيرة
فالعباد يكون منهم مغترون وكذلك الصوفية وكذلك
اهل الدنيا واهل العلم الريا هو ان يطلب الرجل بطلبه
رؤية الناس اعماله وهو نوعان ظاهر وخفى فالظاهر
منه هو ان يحمله هذا الطلب على العبادة اوعلى تحسينها
والخفى منه هو الذى لايحمل على العبادة اوعلى تحسينها
ولكن يحب ان يطلع الناس على عبادته الجاه هو انتشار
الصيت الخمول ضد الجاه وهو انسداد ذكر السالك
بالكلية الاخلاص هو ان لايطلب الرجل رؤية الناس

Copyright © King Saud University

اعماله فهو ضد الريا كيميا السعاده التخلى عن الاوصاف
الذميمة والتحلى بالاوصاف الحميده كيميا العوام استبدال
المتاع الاخروى الباقى بالحطام الدنيوى الفانى كيميا
الخواص تخليص القلب عن الكون باستيثار المكون
الحجاب هو انطباع الصور الكونيه فى القلب المانعة من
قبول تجلى الحق فمتى كان فى قلب السالك غير الله
فهو محجوب عن تجلى الحق وقد تكثر الاغيار فتصير حجابا
ظلمانيا وقد تقل فتكون حجابا نورانيا ولذلك اختار
المحققون للسالك ترك الاسباب والخلوة لئلا
تنطبع الصور الكونيه فى قلبه فتمنعه عن تجلى الحق له
والدليل على ان المانع هو الصور انك ترا العابد الذى
ليس سالكا طريق المحققين يعبد الله تعالى سبعين
سنة فلم يحصل فى قلبه شى مما يحصل للسالكين لان
العابد الذى ليس بسالك قلبه مملو من الاغيار
ولا يسعى فى اذهابها عن قلبه ولا يريد ما يريده السالكون
بل يطلب ما وعده به فى الجنة فهو لا يخلف الميعاد
واما العابد السالك فيعطيه الله تعالى فى الدنيا التجليات
وله فى الاخرة اعلا المقامات الجمع شهود الاشيا بالله
والتبرى عن الحول والقوة الا بالله جمع الجمع الاستهلاك
بالكلية

بالكليه والفنا عما سوى الله تعالى وهو المرتبة الاحديه
الفرق الاول هو ان يحتجب السالك بالخلق عن الحق فلا
يرى الا الخلق وهو حال المبتدى من السالكين والعوام الفرق
الثانى هو شهود قيام الخلق بالحق ورؤية الوحدة فى الكثرة
والكثرة فى الوحدة من غير احتجاب باحدهما عن الاخرى
التجريد هو ازالة السوى والكون عن القلب والسر الكون
هو العالم اعنى ما سوى الله تعالى الجرس اجمال
الخطاب الالهى الوارد على القلب بضرب من القهر الطوالع
هى اول ما يبدو من تجليات الاسما على باطن السالك
فتحسن اخلاقه بها لاجل تنور باطنه الطهاره هى حفظ
الله تعالى العبد من المخالفات طاهر الظاهر من حفظه
الله تعالى من المعاصى طاهر الباطن من حفظه الله
تعالى الوساوس طاهر السر من لا يذهل على الله طرفة
عين طاهر السر والعلانيه من قام بتوفية حقوق الحق
والخلق جميعا لسعيه برعاية الجانبين الهمة توجه القلب
بجميع قواه الروحانيه الى الحق لحصول الكمال له او لغيره التقوى
هى التجنب عن كل ما يوثم من فعل او ترك وهو تقوى
العوام واما تقوى الخواص فهو تنزيه القلب عما يشغل عن الحق
الظل هو الوجود الاضافى المنبسط على الممكنات

Copyright © King Saud University

واحكامها التي هي معدومات في نفسها وهو النفس الرحماني
وتسميه الحكما بالطبيعه وتسميه الوجود بالظل لقوله تعالى
الم تر الى ربك كيف مد الظل اى بسط الوجود على
الممكنات وتسميته بالنفس الرحماني تشبيها له بنفس
الانسان المختلف بصور الحروف مع كونه هوا ساذجا
في نفسه وتشبيه الاعيان الموجودات بالكلمات
الانسانيه لانه كما تدل كلمات الانسان على المعاني
كذلك تدل اعيان الموجودات على موجدها وعلى اسمائه
وصفاته قال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات
ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا
بمثله مددا فالمراد من الكلمات في الاية الكريمة
اعيان الموجودات فكما ان لكل كلمة من كلمات الانسان
معنى غير المعنى الذي للكلمة الاخرى فكذلك في كل
عين من اعيان الموجودات سر غير السر الذي في العين
الاخرى يطلع الله تعالى عليه خواص عباده ويحجبه
عن غير الخواص وذلك كالكلمات المكتوبة في رق منشور
فاذا نظر فيه القاري قراها وفهم معناها واذا راها
غير القاري لا يفهم منه شيا ولا يراها الا خطوطا متداخله
بعضها في بعض فسبحان المعطي المانع جل جلاله النفس
الشهوانيه هي البخار اللطيف الحامل للحياة والحس والحركة

الاراديه

الاراديه وهي التي تسميها الحكما الروح الحيواني وهي جوهر
مشرق على البدن فان اشرق على ظاهر البدن وباطنه حصلت
اليقظه وان اشرق على باطن البدن لا على ظاهره حصل
النوم واذا انقطع اشراقه بالكليه حصل الموت فسبحان الصانع
الحكيم النفس الناطقه هي جوهر مجرد عن الماده في ذاته
مقارن لها في افعاله وهذه النفس هي التي تسمى بالاماره
واللوامه والملهمه والمطمئنه والراضيه والمرضيه
والكامله فكلما اتصفت بصفة سميت باسم اتصافها بها
باسم من هذه الاسما فان صادفتها النفس الشهوانيه
المذكورة انفا ووافقتها وصارت تحت حكمها سميت
اماره وان سكنت تحت الامر التكليفي واذعنت لاتباع
الحق لكن بقي فيها ميل للشهوات سميت لوامه وان زال
هذا الميل وقويت على معارضة النفس الشهوانيه
وزاد ميلها الى عالم القدس وتلقت الالهامات سميت
ملهمه فان سكن اضطرابها ولم يبق للنفس الشهوانيه
حكم اصلا ونسيت الشهوات بالكليه سميت مطمئنة
وان ترقت عن هذا وسقطت المقامات من عينها وفنيت
عن جميع مراداتها سميت راضية فان زاد هذا الحال عليها
صارت مرضيه عند الحق والخلق فان امرت بالرجوع الى

فدواه الذى يترقى به الى درجة القلب لا اله الا الله
لكن ينبغى ان يكون ذكره فى جميع اوقاته ويكون بالجهر
والشدة والقوة لينبه اعضاءه من الغفلة وان كان
السالك فى درجة القلب فدواه الذى يترقى به الى
درجة الروح تقليل الطعام والمنام والذكر بلفظة
الله الله الله مع الاكثار وسنذكر فى الابواب الاتيه
جميع ما يحتاج اليه السالك فى سفره من الادوية التى يترقى
بها درجة بعد درجة الى ان يصل الى ما تنزل منه وهو
الصورة الادميه التى كانت قبلة للملائكة الباب
الاول فى ذم الدنيا ولذاتها وبيان حقيقتها اعلم
ان الدنيا عبارة عن كل ما قبل الموت خيرا كان او شرا
ولذلك استثنى فرع النبى صلى الله عليه وسلم
حين زمها ما هو خير فقال الدنيا ملعونة ملعون
ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما وفى
رواية اخرى الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا امر
المعروف او نهيا عن منكر وذكر الله عز وجل وفى
رواية الا ما ابتغى به وجه الله تعالى فهذه الاشيا
التى استثناها المصطفى صلى الله عليه وسلم هى من
الدنيا ايضا لانها وجدت فى هذا العالم وانما اخرجها
لانها

لانها تصحب العبد بعد الموت وقال صلى الله عليه وسلم
حبب الى من دنياكم ثلاث النسا والطيب وقرة عينى
فى الصلاة فعد الصلاة من الدنيا ولذاتها لدخول حركاتها
فى الحس والمشاهدة الظاهرة فعلم من هذا ان كل لذة
لها ثمرة بعد الموت فهى ليست من الدنيا الملعونة وان
وجدت فى هذا العالم بل هى اخرة واما الاشيا التى فيها
لذات عاجلة ولا ثمرة لها بعد الموت فهى الدنيا الملعونة
كالمعاصى والمباحات الزايدة على الحاجات وبقى قسم
ثالث متوسط بين القسمين المذكورين وهو كل حظ لك
فى العاجل يعين على اعمال الاخرة كقدر الحاجة من
الاكل والشرب والملبس والمنكح فهذا من القسم الاول
المحمود وهو معدود من الاخرة ايضا لانه يعين عليها
فعلى هذا اذا اكل الرجل فى نصف بطنه يكون قد
التذ بالطعام وارضى مولوه فيحوز حظ الدنيا وحظ
الاخره ولذلك قال عليه الصلوة والسلام البسوا
وكلوا واشربوا فى انصاف البطون فانه جزو من
النبوه اذا عرفت هذا عرفت ان الدنيا هى كل شى تشغلك
عن الله عز وجل وكل شى يعينك على التوجه اليه
فهو اخرة وان كان من حيث الصورة معدودا من الدنيا

Copyright © King Saud University

لانه وجد فى هذا العالم وقد بين الله تعالى حقيقة الدنيا
بقوله اعلموا انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر
بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد ومنبع وانما تحصل هذه
الخبائث من سبعة اشيا ذكرها الله تعالى فى كتابه
العزيز بقوله زين للناس حب الشهوات من النساء
والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث فهذه السبعة
بها تكون الخبائث والقبائح وليست هى فى نفسها
امورا مذمومة بل قد تكون معينة على الاخرة وذلك
اذا صرفت فى محلها قال صلى الله عليه وسلم ما رحا
للمال لاحد الا فى اثنتين رجل اتاه الله مالا فهو
ينفق منه آنا الليل وآنا النهار ورجل آتاه الله
القران فهو يقوم آنا الليل وآنا النهار وقال عليه
الصلاة والسلام ان الله يحب العبد الغنى الخفى فما
ورد فى الاحاديث من الذم فهو فى الدنيا الملعونة التى
هى بعيدة عن الله تعالى ورسوله وهى اللهو واللعب
والتفاخر والتكاثر وغير ذلك مما يلهى النفس عن
حضرة الرب قال عليه الصلاة والسلام الدنيا
لا تنبغى لمحمد ولا لآل محمد وقال عليه الصلاة والسلام

من

من احب دنياه اضر باخرته ومن احب اخرته اضر
بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال حب الدنيا
رأس كل خطيئة وقال يا عجبا كل العجب للمصدق بدار
الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال عليه الصلاة
والسلام ان الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم
فيها فينظر كيف تعملون ان بنى اسرائيل لما بسطت
لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والنساء والطيب
والثياب وقال عيسى عليه السلام لا تتخذوا الدنيا
ربا فتتخذكم عبيدا اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان
كان صاحب الدنيا يخاف عليه الافة فصاحب كنز
الله تعالى لا يخاف عليه الافه وقال نبينا محمد
صلى الله عليه وسلم فى بعض خطبه المومن بين مخافتين
بين اجل قد مضى لا يدرى ما الله صانع به وبين
اجل قد بقى لا يدرى ما الله قاض به فيه فليتزود
العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لاخرته ومن شبابه
لهرمه ومن حياته لموته فان الدنيا خلقت لكم وانتم خلقتم للاخرة
والذى نفسى بيده ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا
دار الا الجنة او النار وقال زيد ابن ارقم كنا مع ابى
بكر الصديق رضى الله عنه فدعى بشراب فاوتى بما وعسل

Copyright © King Saud University

فلما ادناه من فيه بكي حتى ابكي اصحابه فسكتوه فسكت
ثم عاد وبكي ظنوا انهم لا يقدرون على تسكيته قال ثم سكت
ومسح عينيه فقالوا يا خليفة رسول الله ما ابكاك هذا
البكا قال كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرايته
يدفع عن نفسه شيا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول
الله ما الذي تدفعه عن نفسك قال هذه الدنيا تمثلت
لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت فقالت انك ان افلت
عني لم يفلت مني من بعدك وعن جابر ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم مر بجدى اسك يعني صغير الاذن
وهو ميت فقال ايكم يحب ان هذا بدرهم فقالوا ما نحب
انه لنا بشيء قال فوالله لا الدنيا اهون على الله
من هذا عليكم وعن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى
الله عليه وسلم قال انما اخاف عليكم من بعدي ما يفتح عليكم
من زهرة الدنيا وزينتها فقال رجل يا رسول الله او ياتي الخير
بالشر يعني ان ما يفتح علينا من الغنايم والاموال خير وهل
ياتي الخير بالشر فسكت حتى ظننا انه ينزل عليه يعني الوحي
قال فمسح النبي عنه العرق وقال اين السايل وكانه حمده
فقال انه لا ياتي الخير بالشر وان مما ينبت الربيع الا ما يقتل
حبطا او يلم الا آكلة الخضر اكلت حتى اذا امتدت خاصرتاها

استقبلت

استقبلت عين الشمس ~~فثلطت~~ فثلطت وبالت ثم عادت
فاكلت وان هذا المال خضرة حلوة فمن اخذه بحقه ووضعه
في حقه فنعم المعونة هو ومن اخذه بغير حقه كان كالذي
ياكل ولا يشبع ويكون شهيدا عليه يوم القيامة قوله الحبط
بالحاء المهملة ان تاكل الدابة حتى تنتفخ بطنها وتهلك
من كثرة الاكل وقوله يلم اي يقرب الهلاك وقوله
ثلطت بالمثلثة اي تغوطت غايطا رقيقا فحاصل هذا
الحديث الشريف ان المال قد يكون سببا لدمار صاحبه
وهلاكه في الاخرة وذلك اذا صرفه في المعاصي
وتوصل به الى الشهوات النفسانية مع ان المال خير فينبغي
ان يتوصل به الى مرضات الله عز وجل قوله وان مما
ينبت الربيع يعني مثال كثرة المال كمثال ما ينبت في فصل
الربيع فان بعض النبات حلو في فم الدابة وهي حريصة
على اكله ولكن لعان كل كثيرا فيحصل لها دا من كثرة
الاكل فتموت او تقرب من الموت وان لم تاكل الدابة
الا بقدر ما يطيقه كرشها فتاكل وتترك الاكل حتى
ينهضم ما اكلت فلا يضرها الاكل فكذلك من حصل
له مال كثير فان توصل به الى كثرة الاكل والشرب
والتجمل بين الناس قسى قلبه وكثرت نفسه ورأى

نفقه افضل من غيره تحقرت وتعاظم عليه ومن قسى قلبه
منع ما اوجبه الله عليه من الزكاة واداء الكفارات وغير
ذلك ومن كانت هذه صفاته كان المال شرا له ولا
شك انه يبعده عن الجنه ويقربه من النار وان ادّا
حقوق المال ولم يحتقر الناس ولا يفخر عليهم ولا يشتغل
بجمع المال بحيث تفوته طاعة من الطاعات ويحسن
الى الناس كان المال خيرا له كما قال عليه الصلوة والسلام
نعم المال الصالح للرجل الصالح فعلم مما تقرر ان المال
في نفسه ليس خيرا ولا شرا وانما الخير والشر من نفس الرجل
فان صرفه في الخير كان خيرا وان صرفه في الشر كان شرا
وقال صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار وعبد الدرهم
وعبد الخميصه وهذا دعا منه صلى الله عليه وسلم على
من ترك عمل الآخرة واشتغل بجمع المال والتلذذ
بالملابس الحسنه لان الخميصة من الملابس الحسنه وقال
صلى الله عليه وسلم حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة
بالمكاره قوله حجبت اي سترت والمعنى ان من اتبع الشهوات
وقع في النار بفعله وهو لا يبصرها بل يبصر مشتهاه ومن
تحمل المشاق الدينيه والمكاره الاصلاحيه فقد دخل
الجنة اي عمل ما يؤديه اليها وهو لا ينظر الى الجنة بل الى المكاره

وفي رواية حفت

وقال

١٥

وقال عليه الصلاة والسلام فوالله لا الفقر اخشى عليكم
ولكن اخشى عليكم ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على
من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم
يعني فترغبون فيها فيكثر اشتغالكم في جمعها فتغفل طاعتكم
فيها وتحصل بينكم العداوة بسببها وقال عليه الصلوة
والسلام اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا كفافا وقال قد
افلح من اسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما اتاه وعن
مطرف عن ابيه قال اتيت النبي صلى الله عليه وسلم وهو
يقرأ الهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالي مالي فهل
لك يا ابن ادم من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست
فابليت او تصدقت فامضيت وقال صلى الله عليه وسلم
ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس يعني
ليس الغنى من كثر متاعه وحطام دنياه ولكن الغنى
من قنع بما اعطاه الله تعالى وقال عليه الصلوة والسلام
ان الله تعالى يقول يا ابن ادم تفرغ لعبادتي املأ صدرك
غنا واسد فقرك وان لم تفعل ملأت يدك شغلا ولم
اسد فقرك وقال صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه
اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك
قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك

Copyright © King Saud University

وحياتك قبل مماتك وعن ابى هريرة رضى الله عنه انه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ينتظر احدكم الى
غنى مطغيا او فقرا منسيا او مرضا مفسدا او هرما مفندا
او موتا مجهزا او الدجال فالدجال شر غايب ينتظر او الساعة
والساعة ادهى وامر يعنى ما ينتظر احدكم الا احد هذه الامور
فلم يعجل الاعمال الصالحة ويتوجه الى الله تعالى بمجاهدة
نفسه قبل ان ياتيه شى من هذه الاشيا المذكورة فتشغله
عن طاعة ربه لان الغنى يطغيه فيمتنع عن الطاعة
والفقر ينسيه الطاعات لما فيه من الجوع والعرى والمرض
يفسد قواه والهرم يضعفه ويعجزه ويكره الناس فيه
من كثرة كلامه لان معنى الفند الكلام المنحرف عن
الصحة ويقال افند الرجل اذا اكثر كلامه من الكبر والموت
المجهز اى المسرع وقوله او الساعة بالنصب عطف على
غنى وقوله والساعة بالرفع مبتدا خبره ادهى يعنى
ان الرجل فى الدنيا معترض لهذه الاحوال المذكورة
وبعدها ما هو اشد وامر وهو الساعة الموعودة فالسعيد
من اشتغل بما ينجيه ويرفع قدره وترك ما يوديه
ويكفره فى الاخرة قبل نزول هذه الحالات وقال صلى
الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا فى الدنيا

نهى

١٦

نهى صلى الله عليه وسلم عن اتخاذ الضيعة وهى البساتين
والمزارع لان الخلق خلقوا للعبادة وسر العبادة الذكر
والفكر فى جلاله وجماله تعالى بالقلب الفارغ عن جميع
الاغيار وصاحب الضيعة يمشى ويصبح متفكرا فى خصومة
الفلاحين والشركا واعوان السلطان وخيانة المذكورين
له وسرقتهم ماله وغير ذلك واعلم ان كلما شغل قلبك
من اصناف الاموال فهو كالضيعة فخصه صلى الله عليه
وسلم بالذكر لانها الاغلب ويدخل فى هذا كل الصنايع والحرف
والتجارة لان الضيعة تقال ايضا على كل ما يكون منه معاش
الرجل وقال صلى الله عليه وسلم من احب دنياه اضر
باخرته ومن احب اخرته اضر بدنياه فاثروا ما يبقى على ما يفنى وقال
صلى الله عليه وسلم ما ذيبان جايعان ارسلا فى غنم بافسد لها
من حرص المر على المال والشرف لدينه يعنى حرص المرء على المال وعلى
الشرف افسد لدينه من افساد الذيبين للغنم والمراد بالشرف الجاه والعز
والرياسة والمناصب وعن سهل بن سعد قال جا رجل فقال
يا رسول الله دلنى على عمل اذا عملته احبنى الله واحبنى الناس فقال
ازهد فى الدنيا يحبك الله وازهد فيما عند الناس يحبك الناس
وعن ابن مسعود ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نام على حصير
فقام وقد اثر فى جنبه الشريف فقال ابن مسعود يا رسول الله

Copyright © King Saud University

لو امرتنا ان نبسط لك يعني فراشا لينا ونعمل لك يعني بيتا
حسنا فقال ومالي وللدنيا وما انا والدنيا الا كراكب استظل
تحت شجرة ثم راح وتركها وعن ابي امامة رضي الله عنه عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال اغبط الاولياء عندي لمؤمن
خفيف الحاذ ذو حظ من صلاة وصيام احسن عبادة ربه
واطاعه في السر وكان غامضا في الناس لا يشار اليه
بالاصابع وكان رزقه كفافا فصبر على ذلك ثم نقد صلى
الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه
فقوله اغبط الاولياء اي اقربهم واحقهم واحبهم من كان
موصوفا بهذه الصفات وقوله خفيف الحاذ بالذال المعجمة
او باللام يعني قليل المال وقوله نقد بيده بالنون والقاف
والدال المهملة وفي رواية نقرا بالراء اي صوت بيده يعني
ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم الاصابع الوسطى على الابهام
حتى سمع منه صوت وهذا فعل من تعجب من شيء او رأى شيئا
حسنا او اخبر عن نفسه قلة المبالات انه يتعجب من حسن حاله
وقلة حزنه وقلة مبالاته بالدنيا وكثرة طربه وقال صلى
صلى الله عليه وسلم عرض علي ربي ليجعل بطحاء مكة ذهبا
فقلت لا يا رب ولكن اشبع يوما واجوع يوما فاذا جعت
تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك وعن

المقدام

المقدام بن معدي كرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه بحسب ابن آدم اكيلات
يقمن صلبه فان كان لا بد فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه
وعن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سمع رجلا يتجشأ فقال اقصر من جشائك فان اطول الناس
جوعا يوم القيامة اطولهم شبعا في الدنيا وعن ابن عباس
رضي الله عنهما ان الله عز وجل جعل الدنيا ثلاثة اجزاء
جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود
والمنافق يتزين والكافر يتمتع واعلم ايها الاخ ان الاحاديث الواردة
في ذم الدنيا واهلها لا تعد ولا تحصى وما ذكرناه يكفي لمن كان
له قلب او القى السمع وهو شهيد واما من كان محبا للدنيا راغبا
في شهواتها منهمكا في طلبها فلا تفيده الاحاديث ولا غيرها
١٧ ومن احب الله تعالى عادى عدوته وهي الدنيا لان الله تعالى
لم ينظر اليها منذ خلقها قال عيسى عليه السلام من ذا
الذي يبني على موج البحر دارا تلكم الدنيا لا تتخذوها قرارا
وقال ايضا يا معشر الحواريين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة
الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة
الدنيا وقد قيل في ذلك

يا خاطب الدنيا الى نفسها   تنح عن خطبتها تسلم

Copyright © King Saud University

ان التي تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم
يا رقد الليل مسرورا باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
افنى القرون التي كانت منعمة كر الجديدين اقبالا وادبارا
اذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

وقال حجة الاسلام الغزالي رحمه الله تعالى مثال العبد في
نسيانه نفسه به مثال الحاج الذي يقف في بعض منازل
الطريق ولا يزال يعلق ناقته ويتعهدها وينظفها ويكسوها
الوان الثياب ويحمل لها انواع الحشيش ويبردها الماء حتى تفوته
القافلة وهو غافل عن الحج وعن مرور القافلة وعن
بقائه في البادية وحده فريسة للسباع هو وناقته فكذلك
الرجل اذا اشتغل في تحصين ماكله ومشربه وملبسه ونسي
ما خلق من اجله انقطع في دار الوحشة والظلمة وصار قرينه
للشيطان والعياذ بالله تعالى فالعاقل لايهمله
امر نفسه ودنياه الا بقدر ما يقوى به على سلوك طريق
الاخرة فالسعيد من خلق عرف ما خلق له فاستعد له
وعدل عما سواه فلم يقدم على الدنيا الا لحاجة والضرورة
والشقي من غلبته الشهوة والغلبة فيسعى ويكتسب
حتى ياكل ويلبس ويتنعم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي
العظيم اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري
وعلانيتي

وعلانيتي لا يخفى عليك شيء من امري وانا البائس الفقير المستغيث
المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه اسألك
مسألة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وادعوك
دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت
لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك انفه اللهم
لا تجعلني بدعائك شقيا وكن لي رؤفا رحيما يا خير المسؤولين
يا خير المعطين اللهم نجنا واخواننا مما يقطعنا عن
جنابك واجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين
سلما لاوليائك وعدوا لاعدائك نحب بحبك من
احبك ونعادي بعداوتك من عاداك وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم

الباب الثاني

في الحث على سلوك هذه الطريق وبيان فضلها اعلم
ان طلب الكمال من اشرف الخصال والكمال هو التخلي
عن الاوصاف الذميمة والتحلي بالاوصاف الحميدة والاوصاف ١٨
الذميمة هي الجهل والغضب والحقد والحسد والبخل
والتعاظم والتكبر والعجب والغرور والريا وحب الجاه
والرياسة وكثرة الكلام والمزاح والتزين للخلق والتفاخر
والضحك والتقاطع والتزاحم وتتبع العورات والامل
والحرص وسوء الخلق والاوصاف الحميدة هي

Copyright © King Saud University

العلم والحلم وصفا الباطن والكرم والتذلل والرفق
والتواضع والصبر والشكر والزهد والتوكل والمحبة والشوق
والحيا والرضا والاخلاص والصدق والمراقبة والمحاسبة والتفكر
والشفقة والرحمة على الخلق والحب في الله والتأني
في الامور والبكا والحزن وحب الخمول وحب العزلة
وسلامة الصدر والنصح وقلة الكلام والخشوع والخضوع
والحضور وانكسار القلب وحسن الخلق والمراد من
سلوك طريق التصوف الاتصاف بالكمال والخلاص من
قبيح الخصال وهذا شيء مطلوب مامور به اما الخلاص منه
الغضب فلقوله صلى الله عليه وسلم ما غضب احد الا اشفى
على جهنم وعن ابي هريره ان رجلا قال يارسول الله مرني
بعمل وان قل قال له لا تغضب ثم اعاد عليه الكلام فقال
له لا تغضب وعن ابن مسعود قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما تعدون القوي منكم قلنا الذي
لا تصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذي يملك نفسه
عند الغضب ويكفي من قبح صورة الغضبان الظاهر
وصورة باطنه اقبح وروى ان عايشه رضي الله عنها
غضبت مرة فقال صلى الله عليه وسلم جاءك شيطانك فقالت
فقالت ما لك شيطان فقال بلى ولكن دعوت الله

فاعانني

فاعانني عليه فاسلم فلا يامرني الا بالخير فعلى الجملة فالغضب
خصلة ذميمة تحصل من غليان دم القلب لطلب الانتقام
وعنده الحكم وابتداؤه بالتحلم حتى يصير عادة قال صلى الله
عليه وسلم انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير
يعطه ومن يتوق الشر يوقه وقال صلى الله عليه
وسلم لاصحابه ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يا رسو
الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم
على من جهل عليك والاحاديث التي في ذم الغضب
ومدح الحلم كثيرة ولا يتوصل بالخلاص من الغضب المذموم
بالكلية والاتصاف بالحلم المحمود الذي يصير طبيعة
الا بسلوك طريق التصوف لان به تنكسر قوة
الغضب ويدخل تحت سياسة العقل والشرع فحينئذ يصير
في قبضة يده مغلوبا وهو غالب عليه فان غضب فلا
يغضب الا لله والغضب لله مقام عالي لا يقدر عليه
الا من ترقى الى المقام الرابع الذي تسمى فيه النفس بالمطمئنة
ومن ادعاه وهو دون هذا المقام فهو كاذب ملبس تلبس
عليه الحق بالباطل قال علي رضي الله عنه كان النبي
صلى الله عليه وسلم لا يغضب للدنيا فقط بل يغضب
لله تعالى فاذا غضب للحق لم يعرفه احد ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له

١٤

Copyright © King Saud University

ثم منبه على اظهار الحق واخفاء الباطل واما الحسد فهو من قبيح
الخصال ايضا ولا يمكن قطع مادته من الباطن بالكلية الا
بسلوك طريقة التصوف كما سيأتي في الابواب الآتية
وقال صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنات كما تأكل
النار الحطب وحقيقة الحسد ان يكره نعمة الله على اخيه
فيحب زوالها عنه فان كان لا يكره ذلك لاخيه ولا
يريد زوالها ولكن يريد لنفسه مثلها يسمى هذا غبطة
وهو ليس مذموما قال صلى الله عليه وسلم المؤمن
يغبط والمنافق يحسد وقوله تعالى ولا تتمنوا
ما فضل الله به بعضكم على بعض فالمراد به النهي عن
التمني بانتقال تلك النعمة عند اليد بعينها لانه
يتمنى ان ينعم عليه بمثلها غير مذموم ولا محمود هذا اذا
كان في الامور الدنيوية واما اذا كان في الامور الدينية
فهو محمود واما الحقد فهو قبيح ايضا لانه ينتج الحسد و
والهجر والتباغض والتقاطع وتتبع عورات من انت
حاقد عليه قال النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل لمسلم ان
يهجر اخاه فوق ثلاث ايام فمن هجر فوق ثلاث ايام
فمات دخل النار وقال لا تحاسدوا ولا تباغضوا
ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال صلى الله

عليه

عليه وسلم دب اليكم داء الامم قبلكم الحسد والبغضاء وهي
الحالقة لا اقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وعن ابن عمر
رضي الله عنهما قال صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسلم المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يا معشر من اسلم
بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه لا تؤذوا المسلمين
ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من اتبع عورات
اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته يفضحه
ولو في جوف رحله واعلم ان الهجر يجوز اذا كان الغرض
شرعيا وقد هجر النبي صلى الله عليه وسلم زينب اياما
وذلك ان النبي صلى الله عليه وسلم امر زينب ان تعطي
صفية بعيرا فقالت انا اعطي تلك اليهودية فغضب
صلى الله عليه وسلم وهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر
واما البخل فهو مما ذمه الله ورسوله قال الله تعالى
ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون وقال
تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله
هو خيرا لهم بل هو شر سيطوقون ما بخلوا به يوم
القيامة وقال صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه
اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا دماءهم
واستحلوا محارمهم وقال عليه الصلاة والسلام

Copyright © King Saud University

السخي قريب من الله وبعيد من عذابه قريب مني والسخي لا يدخل
النار وانا رفيقه والبخيل لا يدخل الجنه وابليس رفيقه
وحقيقه السخا ان تجود بما فضل عن حاجتك والايثار اعظم
منه لانه ارفع درجات السخاو هو ان تجود بالمال مع الحاجه
اليه واما الكبر فهو ايضا من الخصال المذمومة قال الله
تعالى سا صرف عن اياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق
وقال الله تعالى كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار
وقال تعالى وخاب كل جبار عنيد وقال صلى الله عليه
وسلم لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر
وقال عز وجل الكبريا ردائي والعظمة ازاري فمن
نازعني في واحدة منهما القيته في النار والكبر صفة في النفس
تنشا من رؤية النفس واما العجب فهو الخصال المذمومة ايضا
قال صلى الله عليه وسلم ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع
واعجاب المرء بنفسه وحقيقة العجب تكبر يحصل في الباطن من
من تخيل كمال من علم او عمل وينبغي للسالك اذا دخل عليه
العجب ان يتفكر في حال من مات على الكفر بعد ان كان عابدا
لكنه اعجب بنفسه كبلعام ويتفكر في حال ابليس وان يقول
لنفسه لا تعجبي بالعمل حتى تتحقق ان الله تعالى قبله لان
العمل الذي لم يتحقق قبوله كيف يعجب به صاحبه ولاشك
ان

ان الله تعالى ذم العجب فقال تعالى ويوم حنين اذا عجبتكم
كثرتكم فلم تغن عنكم شيا واما الغرور فهو من اسباب
الهلاك قال تعالى فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله
الغرور والغرور هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه
وسكون النفس الى ما يوافق الهوى من الخيالات والشبه
فهو نوع من الجهل وانواع المغترين كثيرة فمنهم من اغتر بان
الله تعالى كريم رحيم وخاض في المعاصي ولا شك ان الله
تعالى كريم رحيم ولكن جميع القرآن دال على ان كرمه ورحمته
تعالى بتوفيقه في الدنيا للخيرات قال عز من قائل فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومنهم من اغتر
بتقوى ابائه واجداده وقربهم من الله تعالى ولم يتفكر
في قوله لنوح عليه السلام انه ليس من اهلك انه عمل
غير صالح ومنهم من اغتر ورضي بمجرد زي الصالحين والصوفيه
فظن ان التصوف لبس الصوف والمرقعة فقط ومنهم من
اغتر بحفظ كلام السادات واصطلاحاتهم ومنهم من اغتر
بحفظ كلامهم بخلع العذار وترك الاعمال ومنهم من اغتر
بما فتح عليه من المعرفة فوقف عندها يظن انه قد وصل واحوال
المغترين كثيرة فالذي يجب على السالك ان لا يغتر بشيء
ولا يقف عند شيء ولا يرضى بنفائس الامور بل يطلب

Copyright © King Saud University

التحقيق واليقين وترك الشبه والا هوا ولا يعتقد الشي الا ما
هو عليه لان الشيطان دسايسه كثيره ولا تجوز ح الا
على المفترين وسا ذكر جملة قليلة من حيله في الخاتمة ان
شا الله تعالى واما الريا فهو حرام لقوله تعالى فويل للمصلين الذين
هو عن صلاتهم ساهون الذين يراوُن وقال تعالى فمن
كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة
ربه احدا وقال صلى الله عليه وسلم قال الريا يقول الله
تعالى يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين
كنتم تراوُن في الدنيا فانظرون هل تجدون عندهم الجزو
واعلموا ان المرآء لا شك انه يريد ان يكون له في قلوب الناس
منزلة وهذا الذى يبعثه على الريا وطالب طريق الحق يجب
عليه ان يسعى على اسقاط منزلته من قلوب الخلق فحب المراء
يصد عن الحق واما حب الجاه والرياسة فانه مذموم قاطع
عن طريق الحق قال النبى صلى الله عليه وسلم حسب ابن
ادم من الشر الا من عصمه الله ان يشير الناس اليه بالاصابع
في دينه او دنياه وقال على رضى الله عنه تبذل ولا تشهر
ولا ترفع شخصك واكتم واصمت تسلم وتسر الابرار وتغيظ
الفجار وقال ابرهيم ابن ادهم ما صدق من احب الشهرة
واعلم ان حب الشهرة هو المذموم واما نفس الشهرة

والاحتقار

والاحتقار غيره وانتشار الصيت قد يكون محمودا وقد يكون مذموما
فان قصد به تعظيم نفسه واحتقار غيره فهو المذموم وان
قصد به ارضا الخلق ونفعهم فهو محمود يثاب عليه ولا شك
ان جاه الانبيآء والخلفاء الراشدين اوسع من كل جاه وهم
مثابون عليه وعلامة الجاه المحمود ان يكون صاحبه كالمكلف
في حمله فاذا جاء من يفوت عليه ويكفيه التعب فرح به
واغتنمه ولم يغتظ بل يرى منته عليه وعلى كل حال متى
مال قلب السالك الى حب الجاه والرياسة انقطع عن الطريق
فيجب عليه حب الخمول وتعاطى اسبابه وهو لبس الاشياء
التى تسقط منزلته عند الناس حتى اذا دخل عليهم
لم يعتبره احد ولا يرد عليه السلام وهذا حال المريد
الصادق واما كثرة الكلام فهى مذمومة لانه يتولد
منه امور محرمة وامور مكروهة مثل ذكر المعاصى السالفة
وذكر احوال النساء والجادله التى هى المراكو الخصومة والشدق
في الكلام تكلف السجع والتصنع والسب والفحش واللعن
والمزاح الزائد على الشرع والسخريا والاستهزا وافشاء
السر والكذب واليمين والغيبة والنميمة وامثال هذه
المحرمات من الخوض فيما لا يعنى وافة اللسان افة مهلكة
لم يكن اخطر منها وجميع القبايح متفرعة منها فلذلك

Copyright © King Saud University

فلذلك مدح النبي صلى الله عليه وسلم الصمت وحث عليه وامر
به اصحابه فقال الصمت حكمة وقليل فاعله وقال من صمت
نجا وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ ابن جبل وهل يكب
الناس في النار على مناخرهم الا حصايد السنتهم وكان
ابو بكر الصديق رضى الله عنه يخاف من فلتات اللسان
فيضع في فيه حصاة لتمنعه من التكلم وكان يقول هذا
الذي اوردني الموارد القبيحة ويشير الى لسانه ومن عظم
حذار ابن مسعود رضى الله عنه من افة اللسان
كان يقول الله اكبر ما من شيء احق بالسجن من اللسان
وقال عليه الصلاة والسلام مررت ليلة اسري بي
على قوم يخمشون وجوههم باظافرهم فقلت يا جبريل
من هؤلاء فقال هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون
في اعراضهم والغيبة ان تذكر اخاك بما فيه وتعلم انه لو
سمعه لكرهه سوا كان في بدنه او نفسه او فعله او قوله
او دينه او دنياه او ثوبه او داره او دابته او غير ذلك فمتى
ذكرته بشيء من هذه وكان ذلك الشيء فيه وتعلم انه اذا
سمعه تألم كان غيبة واذا لم يكن ذلك الشيء فيه كان
بهتانا وهو امر من الغيبة ولا فرق بين ان يكون المغتاب
حاضرا او غائبا والاحاديث الواردة في النهي عما ذكرناه من

افاة

افاة اللسان كثيرة ومن لا يؤثر فيه سماع القليل لا ينفعه
الكثير وبالله التوفيق وأما المزاح فانه يميت القلب
ويعقبه ظلمة ولو عرف السالك ما نقص من حاله
بسبب المزاح لما فعله مرة اخرى ويعرفه من كان باطنه
منورا واما اصحاب الظلمة فلا يحسون بافة المزاح قال
صلى الله عليه وسلم لا تمار اخاك ولا تمازحه فان
قلت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح فاقول
لك صدقت ولكنه كان يقول حقا وانت لا تقدر على
هذا المزاح فالاولى لك تركه الا في بعض الاوقات وذلك
عند ازدياد القبض وضيق الصدر وأما التزين للخلق
فانه يشغل السالك ويقطعه عن مطالبه لانه يحتاج
الى تحصيل ما يتزين من اللباس والتطيب وتسوية
العمامة وغير ذلك مما يلهيه عن ذكر ربه وعن الحضور
والمطلوب من السالك ان يكون مستغرقا من نظر الخلق
ليس له في قلوبهم منزلة والتزين لهم ينافي ذلك هذا حال
السالك وأما المرشد وهو الذي اقامه الله تعالى لدعوى
الخلق للحق قالوا وجب عليه انه لا يفعل ما يسقطه من
اعين الخلق لانه ينفرهم كان النبي صلى الله عليه
وسلم اذا اراد الخروج على اصحابه ينظر في المراة ويسوي عمامته

وسئله فسألته عائشة رضي الله عنها عن ذلك فقال ان الله
يحب العبد اذا تزين لاخوانه اذا خرج عليهم واما التفاخر فهو
مذموم منهي عنه لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
اوحى الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغي احد
على احد اي لا يظلم احد احدا والتفاخر قد يكون بالمال
وقد يكون بالآبا وقد يكون بالعبادة وكله مذموم قبيح
على الخصوص بالنسبة الى السالك لانه طالب لان
يتحقق بالعبودية ولا ينازع في الربوبية وهذه الاشيا
كلها منافية للعبودية واما الضحك فهو من الخصال
المميته للقلب ولذلك لم يضحك صلى الله عليه وسلم
لكنه كان يتبسم وقال جرير ما رايت النبي صلى الله
عليه وسلم منذ اسلمت الا وقد تبسم فالتبسم مقبول
محمود عند الله ورسوله وعند الناس والضحك يميت القلب
فلا يناسب السالك واما الامل والحرص فهما من الخصال
القبيحة والاتصاف بهما من شان المبعودين من ذي
الجلال وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال اخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم ببعض جسدي فقال كن في
الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وعد نفسك
من اهل القبور وعن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما
قال

قال مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا وامي نطين
شيا فقال ما هذا يا عبد الله قلت شيا نصلحه فقال
الامر اسرع من ذلك يعني ان الموت اقرب منه واما
سوء الخلق فانه من الطباع المذمومة عند الله تعالى
والناس وحسن الخلق محمود عند الله والناس قال
صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة الا
حسن الخلق وكان صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه
اللهم حسن خلقي وخلقي وعن معاذ بن جبل ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله تعالى حف الاسلام
بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن
المعاشرة مع من انت ملتزم بمعاشرته وكرم الطبيعة
ولين الجانب وبذل المعروف واطعام الطعام وافشاء
السلام وعيادة المريض المسلم برا كان او فاجرا وتوقير
ذي الشيبة وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان او كافرا
والعفو عن المسي وكظم الغيظ والاصلاح والجود
والكرم والسماح والابتدا بالسلام والعفو عن الناس
واذهب الاسلام اللهو والباطل والغنى والمعازف
كلها وكل ذي وتر والبخل والشح والطيرة والكذب
والغيبة والنميمة والجفا والمكر والخديعة وسوء

Copyright © King Saud University

ذات البين وقطيعة الرحم وسوء الخلق والتكبر والاختيال
والحسد والحقد والمزاح والفحش والظلم والبغي
والعدوان او كما قال صلى الله عليه وسلم ثم قال انس ابن
مالك رضي الله عنه لم يدع النبي صلى الله عليه وسلم نصيحة
جميلة الا دعانا اليها وامرنا بها ولم يدع غشا او عيبا الا
وحذرنا منه ونهانا عنه ويغني عن هذا كله قوله تعالى ان
الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى
عن الفحشاء والمنكر والبغي واعلم ان ما ذكرناه من
الاوصاف المذمومة هو بعض القبايح التي ينطوي عليها
الانسان واما ذكر جميعها فلا يمكن لكن من سلك الطريق
على ما سنبينه في الابواب الآتية خلص من جميع الرذائل
والآفات الباطنة والظاهرة لان السالك الصادق
في سلوكه يقطعها من اصلها فلا يبقى لها اثر اصلا وينتفي
بالعلاجات التي نذكرها ان شاء الله تعالى واما من اراد
ان يخلص منها بغير سلوك الطريق المذكور فقد طلب
المحال ولذلك ترى الابرار ان سعوا في الخلاص من صفة
من الصفات وتيسر لهم ذلك وقعوا في صفة اخرى وخصلة
اقبح من الاولى وذلك لانهم لم يسلكوا طريق المقربين المنجي
من جميع الآفات فهم على خطر وان خلصوا لقوله صلى

الله

الله عليه وسلم والمخلصون على خطر عظيم اذا عرفت
هذا عرفت فايده سلوك طريق المقربين وهذا الذي
ذكرنا من فوايده واما الفايده المقصوده بالذات من
هذا الطريق فهو الوصول الى منازل القرب من حضرات
الرب والتجليات الاسمائية والصفاتية والخلافة الكبرى
والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

الباب الثالث في بيان الحجب التي بين العبد وربه وبيان ما يحتاج اليه السالك لو وقع من اللطيفة الانسانية

من التوبة والانابة والتجرد عن الاسباب وغير ذلك
مما لا بد منه اعلم ان الروح الاعظم وهو الروح الانساني
الذي هو من امر ربي سر عظيم ولطيفة ربانية
لا يعلم كنهها الا الله تعالى وله في العالم الكبير اسماء
ومظاهر وله في العالم الصغير اعني عالم الانسان اسماء
ومظاهر ايضا فاسماؤه ومظاهره في العالم الكبير العقل
الاول والقلم الاعلى واللوح والحقيقة المحمدية والروح
المحمدية والنور والنفس الكلية التي قال فيها تعالى خلقكم
من نفس واحدة واسماؤه ومظاهره في العالم الصغير
اعني الانسان الاخفى والخفي والسر وسر السر والروح
والقلب والنفس الناطقة واللطيفة الانسانية

٢٥

وهو اول موجود ابدعه الله تعالى واوجده وهو الخليفة الاكبر
والسر الاعظم واول تنزلاته في المقام الاخفى الخفي واخرها
القلب فافهم واعلم ان القلب هو بعينه الروح الاعظم
والخليفة الاكبر المتنزل الى هذه المرتبة وهو المدبر للجسم
الانساني المتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق وذلك
بواسطة الروح الحيواني اعني النفس الشهوانية المذكورة
في المقدمة لان الروح المذكورة في غاية اللطافة والجسم
في غاية الكثافة والروح الحيوان بين اللطافة والكثافة
فلذلك صلح ان يكون واسطة بين الروح الاعظم بعد
تنزله وبين الجسم ولتعاقب الروح اللطيفة مع النفس
الشهوانية تسمى قلبا وكان ذا جهتين جهة العالم الحس
والشهادة وجهة العالم القدس والغيب فصار رت
النفس الشهوانية لكافرع كالشئ الكثيف الحسي الذي
يطلى به وجه المرآة الواحدة لترى الصورة في وجهه
الاخر فلذلك كان القلب اشرف الاشيا واعظمها ومحل
التجليات وخزينة اسرار الله تعالى ومحل انتقاش
الحقائق الحقية والخلقية وقد وصفه الله تعالى
بقوله ذلك لمن كان له قلب اذ ليس المراد من
القلب في الاية قطعة اللحم التي في جوف الانسان

لان

لان تلك يشترك فيها كل الحيوانات واعلم ان الذي
قال الله تعالى عنه له قلب هو المرشد الكامل وقوله تعالى
او القى السمع وهو شهيد يعني المريد المسترشد الطالب للكمال
لان هذا ليس ميسرا لكل انسان لانه ان توجه الى عالم الشهادة
بحيث ينسى عالم القدس والتنزيه حجب عنه ما فيه من الخواص
العلوية وصار حيوانا وان توجه الى عالم الغيب بحيث ينسى
عالم الشهادة والتشبيه حجب عنه ايضا ما عرض عنه من
الخواص السفلية وصار ملكا وان توجه الى احد العالمين
ولم يذهل عن الاخر كان انسانا كاملا وهذا مقام عال لا يتيسر
لاحد الا من سلك طريق المقربين بعد مجاهدة النفس
الجهاد الاكبر ومتى كان القلب متوجها الى الملاحظة بالتمتعات
واللذات الدنيوية من الشهوات النفسانية كان محجوبا بسبعين
حجابا ويسمى القلب في هذه المرتبة بالنفس الامارة لانه
يتصف بالغضب المذموم وبالحقد والحسد والكبر
والتعاظم والعجب والغرور وسوء الخلق وغير ذلك
من الاوصاف الذميمة المذكورة في الباب الثاني المبعدة
له عن حضرة ربه ولا يستغرب عن هذا الامر لان اتباع
الشهوات العزيز ذليلا روي ان امراة العزيز قالت
ليوسف ان الحرص والشهوات صير الملوك عبيدا

٢٦

Copyright © King Saud University

وان الصبر والتقوى صير العبيد ملوكا فقال لها انه من
يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين وذلك لان
القلب حقه ان يكون اميرا على البدن والبدن مطيعا
لاوامره ونواهيه فاذا غلبت الشهوات عليه صار الامير
مأمورا وانعكس الامر فيصير الملك اسيرا ومسخرا في يد
كلب او عدو قاهر ولهذا كان الرجل اذا اطاع داعية الشر
والشهوات يرى نفسه في النوم ساجدا بين يدي خنزير
او حمار وان اطاع الغضب يرى نفسه ساجدا بين يدي
كلب ولعلم ان القلب ان بقي نفسه في هذه المرتبة الملعونة
وطال وقوفه فيها كان ذلك سببا في ابطال خاصيته وهي القدرة
على الوصول الى عالم الغيب وابطال خاصيته الجوهرية بسواد القلب
وبالطبع بالرين لان القلب كالمرآة فهي كانت صافية عن الصدى
والكدر يرى بها الانسان في الاشيا واذا غلب عليها الصدأ او لم يكن
لها ما يصقلها ويرفع الصدى عنها تمكن منها الصدى وغاص في جوهرها
وصارت بحيث لا يقدر الانسان على ازالته واشار صلى
الله عليه وسلم الى هذا بقوله ان القلوب لتصدأ كما يصدأ
الحديد قيل وما جلاؤها يا رسول الله فقال ذكر الموت وتلاوة
القرآن روى ان الغزالي في مختصر الاحيا عن النبي صلى
الله عليه وسلم انه قال القلوب اربعة قلب اجرد فيه سراج يزهر

فذلك

فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب
اغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه
ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه اي في القلب المصفح مثل
البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه مثل القرحة يمدها
القيح والصديد فاي المادتين غلبت عليه حكم له بها فالمراد من
القلب الاول قلب المؤمن الكامل العارف والمراد من القلب
الرابع قلب السالك حال سلوكه وان تتبع الشهوات ومال
الى المخالفات هلك ويخشى تغير طبعه ومتى كان القلب
متوجها الى عالم الغيب يمحى عنه كثف الحجب الذنوب شيئا فشيئا
فيذهب عنه المكدورات الحاصلة من المعاصي وكثرة الشهوات
واستعد للتجليات وانتقشت فيه حقائق الاشيا وكلما
زالت عنه الشهوات قرب من مقامه الاول المتنزل منه
وهذا معنى كشف الحجب واذا لم يبق فيه شيء من الشهوات
وصل الى مطلوبه لانه لم يبق بينه وبين الحق حجاب
روى الغزالي في كتاب الاذكار انه قيل لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اين الله في الارض قال في قلوب عباده المؤمنين
وانه تعالى قال لم تسعني ارضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي
المؤمن اللين الوادع يعني انه لا يراه الا القلوب المؤمنة لا يعني
انه لا بمعنى حل في قلبه تعالى ولكن قلب المؤمن الصقيل

٢٧

Copyright © King Saud University

صار كالمرأة كان المرأة ترى فيها صورة المحسوسات التى فى
عالم الملك كذلك القلب صار يرى منه ما فى عالم الغيب
وهذا هو العلم المفسر بحصول صورة الشئ فى الذهن لان
المراد من الذهن النفس الناطقة وهى القلب كما عرفت
وقال عمر رضى الله عنه رأى قلبى ربى فمن اراد الوصول الى
هذه السعادات والترقى الى اعلا الدرجات فليدخل اولا من
باب الابواب وهو التوبة وانما سميت التوبة بباب الابواب
لانه اول باب يدخل منه العبد حضرات القرب من جناب
الرب واعلم ان التوبة واجبة لقوله عز وجل وتوبوا الى الله
جميعا ايها المؤمنون يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا
وقال تعالى ان الله يحب التوابين وقد اجمعت الامة على وجوب
التوبة وقد قال عليه الصلاة والسلام لله اشد فرحا بتوبة
عبده حين يتوب عليه من احدكم كان راحلته بارض فلاة
فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس من راحلته
فبينما هو كذلك اذ هو بها قائمة عنده فاخذ بخطامها ثم
قال من شدة الفرح اللهم انت عبدى وانا ربك اخطا من
شدة الفرح وقال ان الله تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
والايات والاحاديث فى حق التوبة كثيرة لا تكاد تنحصر واعلم
ان التوبة واجبة على الفور لان ترك المعاصى واجب

قال عليه الصلاة والسلام ترغيبا
فيها التائب من الذنب كمن لا ذنب
له والتوبة تجب ما قبلها وقال
التائب حبيب الله صح

على

على الدوام وطاعة الله واجبة على الدوام وقد قال تعالى
وتوبوا الى الله جميعا وقد نقل النونسى الاجماع على ان
التوبة واجبة على الفورات كانت التوبة واجبة على الفور
فحينئذ يلزم من تاخيرها تضاعف الذنوب على من لم يتب
ولنبين هذا كتضاعف الحسنات بل لان ترك التوبة ذنب
فاذا لم يتب صار صاحب ذنبين الاول ذنب الفعل القبيح
والثانى الذنب الحاصل من ترك التوبة وهذان الذنبان
ايضا تجب منها التوبة فاذا لم يتب منها على الفور صار
صاحب اربعة وعلى هذا القياس فهذا تضاعف لكن
ليس كتضاعف الحسنات لان السيئات لا تتضاعف تضاعف صح
الحسنات لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر امثالها
ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها واذا نظرت بعين الانصاف
والشفقة على نفسك رأيت احتياجك الى التوبة اشد
من احتياجك الى المأكل والمشرب والمسكن لان الذنوب
قد حجبتك عن مطالعة الغيوب وحالت بينك وبين
كل محبوب واعظم الحجب التى بين العبد وربه حجب الذنوب
ظلمانية وغيرها من الحجب وان كان لا بد للسالك من
السعى فى رفع الانوار نورانية لا توجب العبد بالكلية
لان مثال الحجاب الحاصل من الذنوب مثال الجدار الحائل بينك وبين مطلوبك

Copyright © King Saud University

فانك لاترى مع حيلولته ذاتا ولا اثرا ولا شبحا بخلاف الحجب
النورانية فانها كالزجاجات يرى ما وراءها ولكن تخفى وتظهر
بكثرتها وقلتها فان تكاثرت الزجاجات تكاثرا عظيما خفى
المطلوب الذى وراءها لكن لا يخفى حقا ما وراءها الجدار بل
لابدان يراله شبح هذا فيما يرى بالعين من المحسوسات
كذلك القلب فمن كانت عينه التى تسمى بالبصيرة مستورة
بظلمات المعاصى المسماة بالرين والطبع والختم كان لايرى
شيا من انواع الغيوب فلا يبالى بما يفعله من الاثام و
الذنوب فاذا تاب مما هو فيه انكشف عن عين قلبه
حجب الذنوب ورأى ما عند الله فصار يخاف عقابه
ويرجوا ثوابه ويداوم على الطاعات ويجتنب الشبهات
فيحجب حينئذ بحجب نورانيته وهى اعتماده على هذه
الاعمال لانه يعتقد ان الله هو الذى اوجدها ثم بعد
ذلك يكشف الله تعالى عنه هذا الحجاب ببركة الطا عات
فيرى من المنة لله عليه حيث وفقه الى هذه الا عمال
وانه مقصر فى الشكر عليها وان المعطى المانع هو الله
تعالى وان الله تعالى اذا اراد بعبده خيرا البسه لباس
التقوى ليصلح للعرض على حضرته وليس بيد العبد
شيء من الخير والشر بل الكل بيد الله لما فى هذا المقام
من

من اللذة الروحانية فان خفته الالطاف الخفية كشف له هذا
الحجاب ولم يزل يقطع الحجب شيأ فشيأ على ما هو مرتب فى هذا
الكتاب من المقامات والابواب الهاات يصل مقعد صدق
ومنازل الاحباب فافهم ولا تعتقد من تشبيهنا الحجب
بالزجاجات ان الله تعالى شيء يرى بالعين الباصرة فانه
منزه عن ذلك بل بعين البصيرة والله يتولى هداك
اذا فهمت هذه الاشارة عرفت ان التوبة من الذنوب واجبة
نقلا وعقلا وان لا وصول الى الله تعالى الا بها وعرفت ايضا
معنى قوله ان لله سبعين حجابا وفى رواية اخرى سبعين
الف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه
ما انتهى اليه بصره من خلقه وفى رواية ما ادركه بدل قوله
ما انتهى حجابه النور وفى رواية النار لان المراد من الحجب
التى هى الظلمة الذنوب والخطايا والمراد من الحجب التى هى النور
التفات السالك الى اللذات الاخروية الجنانية والى
الكرامات والتجليات والوصال وغير ذلك من المقامات
والاحوال لان السالك ما دام فى قلبه شيء من الاشياء اهـ
فهو محجوب بذلك الشيء عن الحق ولذلك يطول السلوك اهـ
على السالكين ويرجع بعضهم من ربع الطريق وبعضهم من نصفه
والسبحات جمع سبحة وهى ما تسبح به وهى فى الحديث عبارة
عن اشعة انوار ذاته تعالى وههنا اربعة ضوابط الاول

الاول فى وجهه والثانى فى اليد والثالث فى بصره والرابع
فى خلقه فان ارجعت الاول والثالث والرابع الى الله وارجعت
الثانى الى ما الموصولة كان معنى الحديث لو كشف الله تعالى
الحجب لاحرقت اشعة انوار ذاته تعالى الاشيا التى ينتهى اليها
بصره تعالى من خلقه عز وجل فان ارجعت الاول والثانى
والرابع الى الله تعالى وارجعت الثالث الى ما الموصولة
كان المعنى لو كشف الله الحجب لاحرقت اشعة انوار ذاته
تعالى كل خلق انتهى بصره والى الله تعالى عز وجل وعلى
الوجه الثانى فالمراد من الخلق الذى انتهى بصره الى الله
تعالى هو السالك الذى قطع عقبات النفوس واطلق
من قيد الانانيه وتخلص من مقتضيات البشريه بلغ
نصيبا لقبول تجليات الانوار الوجهيه والمعنى لو كشف
الحجب المذكورة عما بين السالك وبين الانوار الوجهيه لاحرقت
اشعة هذه الانوار البقيه التى بقيت فى السالك ولو
يقدر يحرقها بنار المجاهده وذلك لان السالك يصل
الى المقام السادس بالمجاهدة والرياضة واما وصوله الى
المقام السابع فلا يكون الا بجذبة من جذبات الحق تعالى
وهذه الجذبة مقام حق اليقين وقدم بيانه فى المقدمة
فراجعه وحققه وقابل بينه وبين هذا الكلام تراه هو
بعينه

بعينه فتصل الى التحقيق ويظهر لك غلط الموحدين بالتوحيد
الغالي المدنسين بادناس الطبيعة المحجوبين بالحجب المنيعة
وذلك لانهم ظنوا ان كل من عرف وحدة الوجود كان هو
موحدا بل واصلا بل هو ارقى فى درجات الكمال وليس
كذلك لان معرفة وحدة الوجود لا تفيد صاحبها فائده
مفيدا بل قد تقع بها فى الزندقة وتهبط الى شيمى الطبيعه
اعنى المقام الاول الذى تسمى النفس فيه بالاماره بل الذى
يفيد السالك فى سلوكه شهود وحدة الوجود لا معرفتها
والشهود حالة اضطراريه حاصلة عن المجاهدة والمكابدة
والرياضه المتعبة والذل والافتقار والمسكنة ولا يفيد
السالك هذه الحاله الا اذا كان معها اتباع الشريعه وان
لم يكن معها اتباع الشريعه فهى الزندقة [crossed out] المهلكة
فمن اراد سلوك طريق المقربين الموصل الى حق اليقين
فعليه بالتوبة اولا ليرتفع عن قلبه الحجب الظلمانية اعنى
حجب الذنوب ثم يسعى على رفع الحجب النورانيه بالترقى
فى المقامات الاتى ذكرها فى الابواب التى بعد هذا الباب
ان شا الله تعالى فان قيل التوبة ثمرة الندم والندم حال فى
القلب والاحوال لا تدخل تحت الاختيار فكيف تكون التوبة
واجبة مع انها ليست من الافعال الاختياريه اجيب

Copyright © King Saud University

بان سبب الندم يدخل تحت الاختيار وهو سماع المواعظ
وتعلم العلم النافع وذكر الله تعالى والتوحد الى الله تعالى
ببعض العبادات ومعرفة ضرر الذنوب وكونها حجابا
واعظم اسباب الندم المداومة على الذكر بلا اله الا الله
لانه اذا داوم عليه اوقد الله تعالى فى قلبه مصباحا ملكوتيا
فتزول به ظلمة الباطن فيظهر على ما فيه من التجليات والآفات
القاطعة من نيل السعاده وهو وان كان يعلم من قبل لكن ذلك
العلم ليس معه نور فلا يجد وامام تلاوة الاسم فيحصل
النور ويحصل الندم الذى هو التوبة وقد روى عن
الشيخ عبد القادر قدس الله سره انه كان يأتيه الرجل
فيشكو اليه ترك الصلوة والتهاون فى ازالته فيقول له
اكثر من ذكر لا اله الا الله ويأتيه آخر فيشكو له الزنا
او شرب الخمر او غيرهما من القبائح فيأمره بالذكر المذكور
فما جاء احد يشكو من ترك مامور او فعل منهى الا امره
بالذكر واعلم ان التوبة هى الندم على ما فات من الذنوب
لقوله صلى الله عليه وسلم الندم توبة وما قولهم والعزم
على ان ~~لا يتوب~~ لا يعود وتلافى ما مضى فانه لازم للندم لان
من ندم ندما صحيحا عزم على ان لا يعود لا محاله وتلافى
ما مضى على قدر ما يمكنه وهذه التوبة اعنى الندم على ما فات

من

من الذنوب هى توبة العوام وهى مقبولة لا محالة واما توبة
الخواص فهى التوبة عن جميع ما يشغله عن الله عز وجل واما توبة
خواص الخواص فهى التوبة عن الذهول والغفلة عن الحضور
مع الله تعالى وهذه توبة الصديقين الاذكيا الذين علموا
قيمة انفسهم وعرفوا ان كل نفس من انفاسهم خير من الدنيا
وما فيها وقد بينت التوبة بيانا اوضح من هذا البيان فى شرحى
لقصيدة الشيخ ابى العباس الجزايرى واوضحت جميع المسائل
التى تتعلق بها لمن اراده فليراجعه

الباب الرابع

فى بيان النفس الامارة وسيرها وعالمها ومحلها وحالها وواردها
وصفاتها وقبايحها وكيفية الخلاص منها والترقى عنها الى المقام
الثانى الذى تكون النفس فيه لوامة فسيرها الى الله وعالمها
٢١ عالم الشهادة ومحلها الصدر وحالها الميل وواردها الشريعة
وقد عرفت مما سبق ان النفوس السبعة نفس واحدة وتسمى
باعتبار صفاتها المتكثرة بالاسماء المختلفة من الامارة واللوامة
والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة
وقد عرفت ايضا ان هذه النفس هى النفس الناطقة وهى
القلب الذى قال الله تعالى وانما هى اللطيفة الربانية
لكنها لما تدنست بالميل الى الطبيعه والركون الى
الشهوات وصادفت النفس الشهوانيه اعنى الروح

Copyright © King Saud University

الحيوانى انخرطت فى شكل الحيوانات وتبدلت اوصافها الحميدة
باوصافها الذميمة وصارت لاتتميز عنهم الا بالصورة وصار الشيطا ن
من جندها ومن اوصافها الجهل والبخل والحرص والكبر
والغضب والشره والشهوة والحسد والغفلة وسوء
الخلق والخوض فيما لايعنى من الكلام وغيره والاستهزاء
والبغض والايذا باليد واللسان وغير ذلك من القبايح
التى مر ذكرها فهى نفس خبيثة وهى التى قال عنها يوسف
الصديق عليه الصلوة والسلام ان النفس لامارة بالسوء
وقال نبينا محمد صلى الله عليه وسلم اعدا اعدائك
نفسك التى بين جنبيك وقال عليه الصلوة والسلام
رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فسمى الجهاد
الكفار الجهاد الاصغر وسمى جهاد النفس الجهاد
الاكبر وذلك لانها واقعة فى ظلمة الطبيعة ولا فرق
لها بين الحق والباطل ولاتميز بين الخير والشر ولا بعد الشيطا ن
اللعين على الدخول على الانسان الا بواسطتها فكن ايها
الاخ منها على حذر ولا تامن لها ولا تساعدها ولا تنتصر لها
ان احد اذاها بل كن معينا لله عليها لانك اذا تحققت
عداوتها لزمك جميع ما ذكر ولزمك تقليل الطعام والشراب
والمنام لتضعف النفس الشهوانية الحيوانية لانها
اذا

٢٧

اذا ضعفت عان خلاص هذه النفس الشريفة العزيزة
العلوية التى سميت بالامارة عن شبكتها وليكن ذكرك
فى هذا المقام لا آله الا الله بمد لفظة لا وتخفيف
همزة آله وفتح هائه فتحة خفيفة وسكن اخر لفظة
الجلاله ولا تفصل بين الهاء وقولك الا الله واياك
ان تتهاون فى تخفيف همزة آله فانك ان لم تخففها قلبت
ياء وصار ذكرك لا بلوه الا الله وهذه ليست كلمة التوحيد
فلا ثواب بتكرارها ولا تاثير وغالب الذاكرين واقعون
فى هذا الامر ولا يدرون واكثر من هذا فى القيام والقعود
والاضطجاع وجميع الاوقات وذلك بالجهر فان التاثير
المطلوب من هذا الاسم لا يحصل الا بالاكثار والاجهار
اناء الليل واطراف النهار قال الله تعالى فى الحديث
القدسى لا آله الا الله حصنى فمن دخل حصنى امن من
عذابى وقال عليه الصلاة والسلام لا آله الا الله
افضل الذكر وهى افضل الحسنات اسعد الناس بشفاعتى
من قالها خالصا من قلبه ما من عبد قالها ثم مات على
ذلك دخل الجنة وان زنا وان سرق وان زنا وان سرق
وان زنا وان سرق وقال عليه افضل الصلوة والسلام
جددوا ايمانكم قيل وكيف نجدد ايماننا يا رسول الله

Copyright © King Saud University

قال اكثروا من قول لا اله الا الله فانها لا تترك ذنبا ولا
يشبهها عمل ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه
وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا عند ظن عبدي
وانا معه اذا ذكرني فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان
ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه وقال عليه الصلوة
والسلام ما صدقة من ذكر الله وقال الا اخبركم بخير
اعمالكم وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير
لكم من انفاق الذهب والفضة وخير لكم من ان تلقوا
عدوكم فتضربوا اعناقهم ويضربوا اعناقكم قالوا بلى
قال ذكر الله تعالى وقال عليه الصلوة مثل الذي
يذكر ربه ومثل الذي لا يذكر ومثل الحي والميت وقال صلى
الله عليه وسلم لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى الا حفتهم
الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة
وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال عليه الصلوة
والسلام ما عمل ابن ادم عملا انجى له من ذكر الله تعالى
قالوا ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل
الله الا ان يضرب بسيفه حتى ينقطع ثلاث مرات
وقال عليه الصلوة والسلام لو ان رجلا في حجره دراهم
يقسمها واخر يذكر الله تعالى لكان الذاكر لله تعالى افضل

وقال

وقال صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا
يا رسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال صلى الله
عليه وسلم ما من قوم جلسوا مجلسا وتفرقوا منه ولم يذكروا
الله تعالى فيه الا كانما تفرقوا عن جيفة حمار وكان عليهم حسرة
يوم القيامة وقال صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر اهل
الجنة الا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها وقال
عليه افضل الصلوة والسلام اكثروا ذكر الله حتى يقولوا
٢٢ مجنون وقال صلى الله عليه وسلم من صلى الصبح في جماعة
ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين
كان له كاجر حجة وعمرة تامة تامة تامة وفي رواية
اخرى باجر حجة وعمرة وقال صلى الله عليه وسلم لان اقعد
مع قوم يذكرون الله تعالى من صلوة الغداة حتى تطلع الشمس
احب الي من ان اعتق اربعة من ولد اسماعيل ولان اقعد مع
قوم يذكرون الله تعالى من صلوة العصر الى غروب الشمس
احب الي من ان اعتق اربعة ايضا وقال صلى الله عليه و
سلم لان اذكر الله تعالى مع قوم بعد صلوة الفجر الى طلوع الشمس
احب الي من الدنيا وما فيها ولان اذكر الله تعالى مع قوم
بعد صلوة العصر الى ان تغرب الشمس احب الي من الدنيا
وما فيها وقال صلى الله عليه وسلم امر يحيى عليه السلام

Copyright © King Saud University

ان يامر بنى اسرائيل بخمس كلمات منها ذكر الله تعالى فان مثل ذلك
كمثل رجل خرج العدو فى اثره سراعا حتى اذا اتى حصنا حصينا
فاحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز من الشيطان الا بذكر
الله تعالى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فادخل
يا طالب الخلاص من اعداك حصن مولاك وهو لا اله الا الله
وخلص نفسك الشريفة من سجن الطبيعه لتنال المقامات
الرفيعه قال ابو الحسن الشاذلى لا يزال المريد يذكرها بلسانه حتى
ينتقل معناها الى جنانه يعنى لا يزال المريد يقول لا اله الا الله
من غير ان يلتفت معناها وهو توحيد الافعال حتى تنكشف عن
قلبه الحجب الظلمانيه الحاصله من الذنوب الماضيه فيشاهد بعين
البصيرة ان لا محرك ولا مسكن ولا معطى ولا مانع ولا ضار ولا نافع
الا الله شهود ذوق وحال لا شهود اعتقاد والشهود الذوقى
لا يعرفه الا من ذاقه ومن علامته انك ترى نفسك لا تكره
مخلوقا اصلا ولا يحصل منك اذية المسلم ولا الكافر ولا الحيوان
ولا لعدوك ومن اثاره الاتصاف بالمذلة والمسكنة
والسرور الدائم فى القلب والبشاشة فى الوجه وغير ذلك
من المحاسن الشرعية فتداوم ما دامت فيك اوصاف النفس
الامارة على هذا الذكر لتظهر على اول السعادات وهو توحيد
الافعال واذا نفيت بقولك لا اله فاحضر بقلبك كل معبود
غير

٣٤

غير الله وليكن قولك الا بقوة وشدة كانك تضرب به الجانب
الايسر من صدرك بحضور وخشوع وحذلة وغمض عينيك
والق سمعك الى ذكرك ولازم الطهارة من الحدث والخبث
واياك اكل الحرام لان جميع القبايح منشاوها وصدورها من
البطن المملوءة من الحلال فكيف حال من ملا بطنه من
الحرام ولا بد لك من معرفة ما يحتاج اليه من الفقه مثل
معرفة طهارة الماء ومعرفة الوضوء ومعرفة ازالة النجاسة
واركان الصلاة وغير ذلك مما لا بد منه وكذلك معرفة
شئ من العقايد مثل معرفة الواجب له تعالى وصفاته لو
القديمة وما يجب له تعالى وما يمتنع وما يجوز ولا تشتغل بغير
ما ذكر من العلوم الا بعد تزكية النفس وتصفية القلب
لانك قبل ذلك كثير الاحتياج الى خلاص نفسك من سجن
الطبيعه وصقل مرآة قلبك ليزول عنها الرين المانع لها
عن امور ادراك حقايق الاشياء وعن فهم دقايق العلوم
لان مرآتك وانت فى هذا المقام قد علاها صدى الكبر
والطمع والحسد والعجب والبغض والغضب والشهوة
والشره والحقد وغير ذلك مما تعرفه من نفسك فالمطلوب
الاهم فى هذا المقام الخلاص من هذه النجاسات التى صدت حجب
القلوب عن مطالعة الغيوب بالذكر الكثير القوى

Copyright © King Saud University

وتقليل الطعام والمنام لتضييق مسالك الشيطان وبقرب
القلب من الاوطان بشهود شمس العيان وظهور حقيقة
الايمان لان هذا المقام اعمق المقام الاول الذي يسمى فيه
النفس بالامارة هو المشار اليه بسجين واشغل السافلين
فالخلوص منه اهون من غيره وامر المشايخ بالذكر
الجهري لتستيقظ الاعضاء من الغفلة التي هي فيها فعليك
بالذكر الكثير القوي والوقوف على ابواب الشريعة ومحاسبة
النفس كل ساعة وتخويفها بالموت وعذاب القبر وما
بعده من الاهوال وجهنم وعذابها وحياتها وعقاربها
لان في هذا المقام تترادف عليك حالتان خوف ورجا
ثم بعد نقلتك من هذا المقام تبدل خوفك بالقبض
ورجاؤك بالبسط ثم يتبدل القبض بالجلال والبسط
بالجمال وفي هذا المقام يجب عليك ان تذكر اسباب
الرجا وسعة رحمة الله تعالى وعفوه وكرمه وعليك
بالتذلل والخضوع والتضرع له تعالى واطلب الخلوص
معه بلطفه واحسانه واكثر من الدعا والابتهال
اليه عز وجل ولا تمل من الدعا وتقل ان الله تعالى لم ما
يقبل مني لان هذا مما يقطع المريد عن الحق قال النبي
صلى الله عليه وسلم الدعاء هو

العبادة

٢٥

العباده ثم بلى وقال ربكم ادعوني استجب لكم ان الذين
يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين وقال
عليه الصلوة والسلام الدعاء مخ العبادة وقال عليه
الصلوة والسلام من فتح له في الدعاء منكم فتحت له ابواب
الاجابة وقال عليه الصلوة والسلام الدعاء يرد القضا
وان البر يزيد في الرزق وان العبد ليحرم الرزق بالذنب
يصيبه وقال عليه الصلوة والسلام الدعاء يرد البلاء
وقال عليه الصلوة والسلام الدعاء جند من اجناد الله
تعالى مجند يرد القضا بعد ان يبرم وقال عليه الصلوة
والسلام لا يغني حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما
لم ينزل وان البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيتعالجان الى يوم
القيامه وقال عليه الصلوة والسلام ليس شيء اكرم
على الله من الدعاء وقال عليه الصلوة والسلام من لم
يسأل الله يغضب عليه وقال ايضا من لم يدع الله
غضب عليه وقال ايضا لا تعجزوا في الدعاء وانه لن يهلك مع
الدعاء احد وقال عليه الصلوة والسلام من سره ان يستجيب الله
له عند الشدايد والكرب فليكثر الدعا في الرخا وقال صلى الله
عليه وسلم الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض وقال
صلى الله عليه وسلم ما من مؤمن سلم ينصب وجهه لله في مسألة

Copyright © King Saud University

الاعطاه اياها امان بجعلها له وامان يدخرها له فانظر ما
اكرم الانسان على الله كيف جعل دعاه وتوجهه يوثر فى
قضائه المبرم ويرد البلاء وينفع مما نزل ومما لم ينزل من المصائب
والبلايا وكيف كان دعاؤه كريما على الله حتى انه اذا لم يدع
يغضب عليه وكيف جعل دعاؤه عبادة بل مخ العبادة كل
ذلك محض تفضل ولطف واكرام منه لهذا النوع الانسانى
فهل يليق لك ان تعرض عن اكرامك هذا الاكرام وتقبل
على اعدائه وهم الشيطان والدنيا والهوى فهل ترضى ان
تمقت ما مقتوا وتبعد كما ابعدوا بعد ان عرفت ان استعدادك
خير الاستعدادات وانت قابل للخلافة الكبرى والسلطنة العظمى
وقد كان ابوك قبلك من الملائكة ومعلمهم الاسماء وخليفة الله
فى ارضه فهل يا ترى هذا الذى اقبلت عليه عشر معشار ما ادبرت
عنه فانتبه يا صبى من غفلتك التى اهلكتك وانزلتك
مقدارك وحضرتك واقبل على من لاغنى لك عنه معاملة
الاحسان قبل ان تساق اليه بسلاسل الامتحان هذا وقد
قال الله عبدى ان تقربت منى شبرا تقربت منك ذراعا
وان تقربت منى ذراعا تقربت منك باعا وان اتيتنى تمشى اتيتك
هرولة فاترك التوانى واعرض عما شغلك عن مولاك واستغن
بالقناعة بما فى يدك كثيرا كان ام قليلا ودع اللذات الفانية

لاهلها

٣٦

لاهلها واشتغل فيما يعنيك ولا تسوف بالتوبة والاقبال
على الله تعالى فانك لا تدرى ما بقى من عمرك قال النبى
صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك فانك لن
تجد فقد شىء تركته لله تعالى قال النبى صلى الله عليه
دعوا الدنيا لاهلها من اخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ
حتفه وهو لا يشعر يعنى من سعى واجتهد فى طلب الدنيا
فوق ما يكفيه سعى فى هلاك نفسه والحال انه لا يشعر
بالهلاك ويجب عليك ايها الاخ وانت فى هذا المقام
الضيق القبيح ان يكون دعاؤك وتوجهك الى الخلاص
من ضيق النفس الى فضاء الروح وان يكون همك ومطلبك
عن الاوصاف الذميمة التى ذكرناها والتحلى باضدادها
وهى الصفات الحميدة فتبدل ما فيك من الكذب بالصدق
وما فيك من الكبر بالتواضع والبغضة بالمحبة والريا
بالاخلاص والشهرة بالخمول فاذا كان لك صيت بين الناس
فالبس ثياب الخمول ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكر واكتم
واصمت فتعلم تسر الابرار وتغبط الكفار وسنذكر ان الشهرة
وانتشار الصيت فى الباب الذى بعد هذا الباب واعلم انك
اذا اشتغلت فى خلوص نفسك من هذه الآفات وبدلت
اوصافها شاهدت بعض العجائب المكنونة والاسرار المخزونة

حتى لا يبقى احد يذكرك اصلا لا بمدح ولا ذم قال على رضى الله عنه تبذل ولا

في صدفة البشرية وتفهم معنى قول المحقق رضي الله عنه في
معنى ذلك شعرا

دواءك فيك وما تبصر ... ودواءك منك وما تشعر
وتزعم انك جرم صغير ... وفيك انطوى العالم الاكبر

الباب الخامس في بيان النفس اللوامة وبيان سيرها
وعالمها ومحلها وحالها وواردها وصفاتها وبيان العلاج في الخلاص
منها والترقي منها الى المقام الثالث اعني المقام الذي تكون فيه
النفس ملهمة فسيرها الى الله تعالى وعالمها عالم البرزخ
ومحلها القلب وحالها المحبة وواردها الطريقة وصفاتها
اللوم والفكر والعجب والاعتراض على الخلق والريا الخفي
وحب الشهرة والرياسة وقد يبقى معها بعض اوصاف
النفس الامارة لكنها مع هذه ترى الحق حقا وترى الباطل
باطلا وتعلم ان هذه الصفات مذمومة ولا تقدر على الخلاص
منها ولها رغبة في المجاهدة وموافقة الشرع ولها اعمال صالحة
من قيام وصيام وصدقة وغير ذلك من اعمال البر لكن
يدخل عليها العجب والريا الخفي فيحب صاحب هذه النفس
ان تطلع الناس على ما هو عليه من الاعمال الصالحة
مع انه يخفيها منهم ولا يظهرها لهم ولا يعملها لهم بل عملها لله
تعالى الا انه يحب ان يحمد ويثنى عليه من جهة اعماله ويكره

هذه

هذه الخصلة ايضا ولا يمكن قلعها من قلبه بالكلية والا كان
مخلصا بلا خطر والحال ان المخلصين على خطر عظيم قال النبي
صلى الله عليه وسلم الناس كلهم هلكى الا العالمون والعاملون
كلهم هلكى الا العاملون والعاملون كلهم هلكى الا المخلصون
والمخلصون على خطر عظيم وذلك لان المخلص يجب ان يعرف
الناس انه مخلص وهذا هو الريا الخفي لان الريا الجلي هو
العمل لاجل الناس وهو الشرك الخفي المذموم بالكلية واعلم
انك اذا كنت متصفا بهذه الاوصاف كانت في المقام الثاني
ويقال لنفسك لوامة وهو مقام لا يسلم صاحبه من الخطر
ولو اخلص في اعماله كما مر بيانه وهو مقام ثاني بالنسبة
الى سلوك المقربين الطالبين الفناء عن نفوسهم والبقاء
بربهم الذين امروا بالموت قبل انقضاء اجالهم وقال لهم
سيدهم موتوا قبل ان تموتوا فسعوا على موت نفوسهم
واما بالنسبة الى الابرار اهل اليمين فهو اخر منازلهم واعلى
مقاماتهم ولذلك قيل حسنات الابرار سيئات المقربين
لان المقربين عند هذا المقام الثاني بل يرتقون عليه الى
ان يصلوا الى مقام سابع فيكون لهم بعد المقام الثاني خمس
مقامات اخر ياتي بيانها وتفصيل احوالها فيما يرد عليك
في الابواب التي بعد هذه الابواب وانما تقف المقربون

Copyright © King Saud University

في هذا المقام لما فيه من الخطر العظيم والتعب المقيم لان اعلا
درجاته الاخلاص والمخلصون على الخطر ولا يكون الخلاص
من هذا الخطر الا بالغنا عن شهود الاخلاص شهود ا
ان المحرك والمسكن هو الله تعالى شهود ذوق وهذا
الشهود متوقف على سلوك طريق المقربين ولا تشم
الابرار له رايحة لان المقربين تيقنوا بالدليل والكشف
ان الله تعالى شرع العبادات وجعلها ابوابا يدخل فرح
من يشاء الى حضرته فدخلوا فيها عليه ممتثلين بين يديه
ناظرين ببصايرهم اليه غير ناظرين اليها ولا معتمدين عليها
ولا معجبين بها شاهدين ان المنة لله عليهم حيث فتح عليهم
ابواب العبادات ومكنهم من الدخول واهلهم للقبول
ومن كانت هذه احواله لا يحتاج الى الخلاص بل لا يخطر بباله
لانه لا يرى لنفسه عملا حتى يخلص فيه ولا يرى لغير
الله فعلا حتى يتضرر به له بخلاف السادة الابرار
فانهم لم يصلوا الى هذا الشهود فنظروا انهم قد اوجدوا
اعمالهم فطولبوا بالاخلاص ولم يشهدوا ان الله تعالى خالق
الافعال كلها فتضرروا من نظرهم ووقعوا في العنا والتعب
وصار احدهم لو دخل في جحر ضب لقيض الله له فيه من
ذنوبه وذلك لما فيهم من البشرية المقتضية كالعجب والكبر

والحقد

واحقد والحسد وسوء الخلق والعداوة والبغضاء والانهماك
في طلب الرزق وما اشبه ذلك وهذه الاشيات كلها مقتضيا ت
للتعب والعنا وضيق الصدر ولاجل ذلك من مثلها لتوضح
لك الفرق بين الابرار والمقربين وبين تلك تعب هولاء
وراحة هولاء وذلك كشجرة خبيثة عظيمة الجثة كثيرة
الاغصان كل غصن منها يثمر نوعا من السم القاتل فجاء
اناس فاشتغلوا في قطع تلك الاغصان ولم يتعرضوا
لقطع تلك الشجرة من اصلها ولا لقطع الماء عنها لتيبس ويتخلصوا
منها فلم يمكنهم الخلاص من السموم بالكلية لانهم كلما قطعوا
شيا نبت غيره لبقاء اصل الشجرة وجاء اناس اخرون فقطعوا
الماء عن الشجرة فضعفت اغصانها فلم تثمر شيا من السموم
فتخلصوا منها واراحوا نفوسهم من الاشتغال بقطع الاغصان
الكثيرة التي لا يمكن الخلاص منها بالكلية لانها كلما قطعت
نبت غيرها فالشجرة مثال لبطن الانسان والاغصان
مثال للصفات الذميمة مثل الكبر والحسد والعجب
وامثال ذلك مما ذكرنا انفا والثمر مثال لما يحصل من هذه
الصفات مهلكات للانسان في الدنيا وفي الاخرة سعوا
في ازالتها شيا فشيا فلم يقدروا على الخلاص من شيء منها
بالكلية اذا خلصوا من صفة في يوم اتصفوا بها في يوم اخر

Copyright © King Saud University

فلم يزالوا كذلك حتى يموتوا لانهم يملأون بطونهم فتقوى
بشريتهم ويكثر دمهم ويتمكن الشيطان منهم قال عليه
الصلوة والسلام فاملأ ابن ادم وعاء شرا من بطنه
وقال ان الشيطان ليجرى من احدكم مجرى الدم فى العروق
فضيقوا مجاريه بالجوع ولا شك ان من تمكن منه الشيطان
وجرى منه مجرى الدم فى العروق يتلبس بالصفات الذميمة
ولا يقدر على ازالة شئ منها بالكلية وان زال فى بعض الاوقات
بسبب خوف لحقه من سماع شئ من اهوال القبر والملكين
وجهنم والزبانية والحشر فاذا ذهب عنه الخوف رجعت
الصفة التى كانت زائلة واما المقربون فانهم لما علموا بالدليل
والتجربة ان البطن هى منبع الفساد والصفات الذميمة
سعوا على الخلوص من شره بتقليل الطعام فتخلصوا من
جميع الصفات الذميمة وتخلقوا بالاوصاف الحميدة ٭
وذلك لانهم لما قل اكلهم قل شربهم فقل نومهم فقل كلامهم مم
لان الجيعان السهران لا يشتهى الكلام فاعتزلوا عن
الناس فلم يبق فى قلوبهم شئ من الصفات الذميمة
قال المحققون من الرجال ما صارت الابدال ابدالا الا
بالجوع والسهر والصمت والاعتزال فاذا عرفت هذا
الحال عرفت الفرق بين الابرار والمقربين وعرفت
ان

ان المقربين لم يبق لهم شئ من الاوصاف الذميمة من
العجب والكبر والحسد وامثالها لانهم محوها من اصلها
حتى انهم لم يخطر ببالهم شئ منها فلذلك نراهم خالين
من الهم والغم لا تفارقهم راحة القلب وجميع الخلق يحبو نهم
فلا يتأذون من احد لانهم لم يصدر منهم الا الافعال الخير
ومع هذا لا يخلون من الحاسدين ولكن لا يضرهم حسدهم
فكلما هم الحاسدون ان يؤذونهم نجاهم الله تعالى من
كيدهم والقى كيدهم فى نحرهم حتى انهم لا يدرون ان الحاسد ين
سعوا فى اذائهم فالله تعالى كفاهم هموم الدنيا والاخرة
فان قلت هذا الكلام بدا فى قوله عليه الصلوة والسلام
لو دخل المؤمن فى جحر ضب لقيض الله تعالى فيه من يؤذيه
وقوله الدنيا سجن المؤمن وامثال هذه الاحاديث فالجواب
ان هذا وامثاله مقول فى حق الابرار وقد علمت حالهم
وهم اناس مقبولون عند الله تعالى وهم المذنبون الا انهم
لم يتخلصوا من جميع اكدار النفوس فلا يخلون من تعب الدنيا
وقد وعدهم الله تعالى ان يعطيهم الثواب الجزيل فى الاخرة واما
المقربون فهم افراد قليلون استغرقوا فى شهود الحق
فنسوا الخلق ولم يخطر ببالهم لذات الدنيا ولا نعيم الاخرة
فمن اين يأتيهم الاذى والسجن والاسر فان اردت ايضاح

Copyright © King Saud University

الاخ الانتظام فی سلکهم والخلوص من جميع الآلام
والراحة على الدوام فاسلک مسلکهم واقف اثرهم
بالترقی من مقام الی مقام حتی تصل الی المقام السابع
ففيه ترى العجائب والغرائب بل فی کل مقام تشاهد
ما يسرک ويرغبک فی السلوک والترقی يکون بالمجاهدة
والاشتغال بالاسماء ففی کل مقام تشتغل باسم مخصوص
فی ذلک المقام وکلما کثرت من الاشتغال بالاسم قرب
عليک الطريق وکلما تماهلت واهملت بعد عليک الطريق
فلا تلومن الا نفسک ولا من المجاهدة وحقيقتها ترک
العادات والعادات تنحصر بالعد لکن جعل المشايخ
للطريق ارکانا وهی ترک بعض العادات فلا بد فيها
وهی ستة تقليل الطعام وتقليل المنام وتقليل الکلام
والاعتزال عن الانام والذکر المدام والفکر التام فهذه
ستة البعض منها يعينک على البعض الاخر وفی عادات
اخر لازم ترکها ايضا مثل تغيير الملابس وتبديل الانفاس
وترک الجلوس وغير ذلک وما اشبهه لکن هذه الستة
المذکورة اهم من غيرها لان السالک اذا فعلها بصدق
فهی تنقله الی ترک جميع العادات والمطلوب من هذه
الاشياء الاعتدال والحالة الوسطى بين الافراط والتفريط

ولذلک

ولذلک قالوا تقليل الطعام واترک الطعام فالنافع فی هذا
الطريق ان لا ياکل حتی يجوع واذا اکل لم يشبع فعلى هذا
ينبغی ان يترک عادات الغدا والعشا فان کان فی محل العشا
شبعانا فلا يتعشى وکذلک الغدا وقد کان صلى الله عليه وسلم
اذا تغدا لم يتعشى واذا تعشى لم يتغدا والمطلوب ايضا
ترک الوان الطعام وان لا يجمع بين ادامين وقد تعسر الحالة
المذکورة اعنی الحالة الوسطى على المبتدی فلا تطاوعه نفسه
ان يفعل ما ذکرناه فيجب عليه فی ظلمها والتعدی عليها باکل حقها
حتی ترضى بالذی ذکرناه وذلک بان يجعل الاکل بالکلية
ويحملها ما لا تطيقه من الاعمال وان کان هذا خارجا عن الانصا[ف]
الا انه يفعل معها ذلک لاجل اصلاحها ورجوعها للحق
والاکل الشرعی الا اذا وجد فی مزاجه تغيير فيجب عليه الاکل
ويجب عليه ان يريح نفسه لان تغيير المزاج يفسد الاحوال
والمقامات خصوصا اذا غلبت عليه السودا بسبب الجوع والهزا[ل]
فيجب على السالک الاکل والراحة والمعاملة باللطف
والتداوی والحق انه يجب على السالک اذا احس بقليل من
المرض ان يترک المجاهدة بالکلية ويشتغل فی اصلاح مزاجه
فاذا زال المرض يعود الى المجاهدة لان المرض من اکبر العوائق
قال سيدی عمر بن الفارض مشيرا الى هذا المقام شعر

ونفس كانت قبل لوامة متى　　أطعها عصت او اعص كانت مطيعة
فاوردتها مالموت اليسر بعضه　　واتعبتها كي مالكون مريحة
فعادت ومما حملتها تحملت　　مني وان خففت عنها تاذت

واشتغل في المقام بالاسم الثاني وهو الله الله الله بسكون اخره يعني الهاء وكذلك تفعل في جميع الاسماء فتسكن اخرها هكذا قال المحققون واكثر منه فانه لا ينفع ولا يظهر العجائب الا بالاكثار وذلك في القيام والقعود والاضطجاع واناء الليل واطراف النهار واجعل لك اوقاتا تجلس فيها متوجها الى القبلة ان امكنك وغمض عينيك واذكر واذكر بهذا الاسم الاعظم بقوة وشدة ويرفع صوت وارفع راسك الى فوق واضرب به صدرك ولا تلتفت يمينا وشمالا كحلوة الاسم الاول فانك تلتفت به من اليمين الى اليسار وحقق همزة الله وسكون الهاء ومد الالف التي قبل الهاء واياك ان تقضي بك العجلة الى تقول هلا هلا هلا ولا يكون ذلك الا اذا لم تحقق الهمزة فان حققتها لا يصير شيء من ذلك واعلم انك في هذا المقام كثير الخواطر كثير الوسوسة كثير الافكار على الخصوص اذا ذكرت متوسطا بين الجهر والخفا واما اذا ذكرت بالجهر والقوة الشديدة فتقل الخواطر وهذا الاسم نار يحرق جميع الخواطر والوسواس

وان

وان تكن مشغولا بذكرك ولا تبالي بالخواطر ولا يمكنك الخلاص منها بالسر لان مرآة قلبك متوجهة الى الخلق ولا شك ان المرآة اذا توجهت الى شيء انتقش ذلك الشيء فيها فينتقش في مرآة قلبك صور الخلق وافعالهم ومجالسهم وقبائحهم وحركاتهم وسكناتهم وكلامهم وانت تكره ذلك وتدفعه ولا يندفع عنك الا اذا اعرض عن جميع الخلق فلا ترى لهم صورة ولا تسمع لهم كلاما وعن جميع اللذات فلا تشم منها رائحة ولا تذوق منها طعاما ولا تلتمس منها شيئا فلا يبقى في خيالك شيء واذا لم تعرض عما ذكر فانت متلبس بجنس الخواطر والوساوس ومعذب بها ومحجوب بالخلق عن الحق فان كنت متعطشا الى زلال الوصال فاترك الخلق وجميع اللذات وهذا هو المجاهدة التي تنتج المشاهدة واعلم ان هذا الطريق طريق جد واجتهاد فمن جد واجتهد نال كل ما تمناه ونال فوق ما يتمناه ومن توانى واهمل فهو مقطوع عن هذا الطريق لان القواطع كثيرة كثيرة واعظم القواطع الركون الى الخلق والميل اليهم والجلوس معهم ومن لم يقطع القواطع لم يصل الى المطلوب لان القصد مخالفتهم ما هم عليه فكيف يؤمل وصولا من خالطهم ووافقهم على ما هم عليه من الكلام والمزاح والضحك وغير ذلك مما تشتمل عليه مجالسهم فاذا اردت المقامات العلية

فاترك الخلق بالكلية وايس من جميع اصحابك واهلك واشتغل
بربك واستوحش من جميع الناس حتى يقال انك مجنون ثم
تستأنس حينئذ بالحق وترى العجايب ان شاء الله تعالى واذا
لم تفعل ما سمعته مضت اوقاتك فى العنا والتعب ولم تنل من
مطلبك شيء فجد واجتهد وابق ما بقى فيك من اثار النفس
الاماره من الكبر والحسد والعداوة والعجب والريا وسوء
الظن فى عباد الله والاعتراض عليهم بالباطن والظاهر
ولا تخلص من هذه الاشيا بالكلية الا اذا تجنبت الخلق
واعرضت عنهم بظاهرك وباطنك حتى انه لا يلزمك فى هذا
المقام الامر بالمعروف والنهى عن المنكر لان الامر بالمعروف ينبغى
ان يكون بلطف وتواضع للمأمور وانت فى هذا المقام لا تقدر
على هذا قال النبى صلى الله عليه وسلم من امر بمعروف
فليكن امره بمعروف ولان الاهم فى حقك خلاص نفسك من
الهلاك الابدي وتنقية قلبك من الدفات المانعة الا
من شهود الحق لان القلب محل نظر الحق فتصفيته فرض
عين ليشاهده ويخاطبه بغير حاسة واجعل دعاك قبل تصفية
قلبك يا مصرف القلوب صرف قلبى الى طاعتك وبعد
تصفيته يا مقلب القلوب ثبت قلبى على دينك وذلك
عند طلوع الشمس وعند غروبها ومعنى تقليب الله القلوب

هو

هو تقليبه اياهم من الغفلة الى التذكر وبالعكس ومن الضحك
الى البكاء والعكس ومن الخوف الى الامن ومن القبض الى البسط
وامثال ذلك والمراد من هذا الدعا طلب الاستقامة على هذا
الطريق وفى هذا المقام عند المقام الثانى يظهر لك سر قوله
صلى الله عليه وسلم قلوب العباد بين اصبعين من اصابع
الرحمن ظهورا ذوقيا ينسيك الم المجاهدة ويرغبك فى السلوك
ويكرهك فى كل ما سوى الله تعالى وذلك اذا فعلت
ما سمعت وان لم تفعل فما ترى الا التعب والعنا فان ظهر
لك شيء من هذا السر بغير مجاهده فهو ادعا من النفس
ما ليس فيها من الكمال لان من شان النفس متى سمعت بكمال
ادعته قال سيدى العارف بالله تعالى

فجاهد تشاهد فيك منك وراءها

وصفت سكونا عن وجود سكينه

فمن بعد ما جاهدت شاهدت مشهدى

وهادى لى اياي بل بي قدوتى

فالمشاهدة لا تحصل الا من المجاهدة فجاهد نفسك واستخرج ما
فيك من الكدور ولا ترضى بالسفاسف وتعلقه اللسان من
ادعى بما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان فاتهم نفسك
ولا تصدقها وكن انت المحتسب عليها وكلما ظهر لك ما يخالف

Copyright © King Saud University

الطريقة فازجرها وعاندها واحكيه شيخك ولا تخف عنه شيا من
قبايحك لان كلما حصلته من هذه الطريقة من الاسرار فنفعه
عايد عليك وكلما حصل لك من الغرور والتلبيس والتزوير
فضرره كذلك عليك فاصدق في الطلب والمجاهدة تنكشف
لك عجايب القلب واسراره وتدخل في عالم المثال وهو عالم
غير هذا العالم الذي انت فيه ولا يعرفه الا من كان في مقام
القلب وهو طريق المقام الثاني من المقامات السبعة المذكورة
في هذا الكتاب وهو اول مقامات المقربين وفيه يرى
السالك الاحوال التي لا تدرك بالحواس الخمس لان قلب
المومن عرش الله تعالى وبيته لمعنى انه محل لان توضع فيه
اسراره تعالى فكن تابعا للشريعة وهي اقوال النبي صلى الله
عليه وسلم متخلقا بالطريقة وهي افعاله صلى الله عليه
وسلم من الجوع الكثير والنوم القليل والصمت كان صلى
الله عليه وسلم اذا تعلم لا يتكلم الا لخير وكان كثير الصمت
روى احمد ابن حنبل في مسنده عن جابر ابن سمرة انه كان
صلى الله عليه وسلم طويل الصمت قليل الضحك وروى ايضا
عن ابي الدرداء انه كان صلى الله عليه وسلم لا يحدث
حديثا الا تبسم فتتبع اخلاقه واحواله واعماله فان فعلت
تجري ينابيع الحكمة من قلبك على لسانك وكنت سالك

طريق

٤٢

طريق المقربين وبهذا تزيد على الابرار ومن هذا نفارقهم مسافرا
الى حضرة الجبار واول منازلك في سفرك هذا عالم المثال
وفيه تجتمع بالاشباح التي هي صور بين كثافة الاجسام ولطافة
الارواح وترى ما يسرك وما يقوي همتك على السلوك ويزيد
شوقك وتشتعل نار المحبة في قلبك وتنقطع عنك جميع الشهو ات
النفسانية والاهواء الشيطانية فان بقي عليك شهوات
روحية فلا تضرك في هذا المقام لان المطلوب
منك قطع الشهوات النفسية التي هي ظلمات بالنسبة الى
ما بعدها واعلم ان الدخول في عالم المثال لا يكون الا
للسالك وهو حالة متوسطة بين النوم واليقظة
تعرض للسالك وهو جالس غالبا ويسمونها بالموافقة
ويرى فيها ما يرى بشرط انه يعلم المكان الذي هو فيه
والوقت الذي هو فيه ايضا ويعلم انه بين النوم واليقظة
فاذا لم يكن كذلك فهو نائم لا يعتبر ولا يعتنى به
ولما كانت هذه الحالة بين النوم واليقظة كان السالك
في البداية يغلب عليه جانب النوم على اليقظة ثم يترقى
حتى يصير جانب اليقظة اغلب فيرى حينئذ بعض الروحانيات بنيب
فيظن انه رآهم يقظة والحق انه رآهم في هذه الحالة
الا ان هذه لما كانت عالية كانت هذه الحالة اقرب الى اليقظة

Copyright © King Saud University

من النوم فظن انه مستيقظ وفي هذه الحالة دخل جبريل على
الصحابة بصورة الاعرابي وفيه نزهة روحانية النبي صلى الله عليه
وسلم فتسمى مشافهة فيقال ان فلانا رآى النبي صلى الله عليه
وسلم مشافهة ولابد من ذهول يعتري السالك حتى يكشف
له عن ذلك ولقد اجتمعت على رجل من السالكين الصا دقين
فحلف لي انه رآى النبي صلى الله عليه وسلم بعين راسه ولم
يكن نائما اصلا فقلت له كيف رأيته فقال كنت في الخان
الفلاني وكان معي اخي فلان واخي فلان فاقبل علي
المصطفى صلى الله عليه وسلم وكلمني وكلمته بلساني ورأيته
بعيني فقلت له فهل رآه المصطفى صلى الله عليه وسلم اخوك
فلان واخوك فلان فقال لا فقلت له لو كانت الرؤيا
بعين راسك لرآه كل من كان في مجلسك فقال جزاك
الله عني خيرا كنت تائها فدللتني على الطريق فاوضح
لي هذه المسئلة حتى يزول عني ما اعتمدته فبينت له
الامر كما تقرر آنفا فلم يبق عنده شبهة في ان اليقظة الصرف
لا يرى فيها الا ما هو في عالم الملك واما ما هو في عالم
الملكوت الذي عالم المثال اشبه منه فلا يرى الا بعين
البصيرة وان كانت العينان مفتوحتان وفي هذا العالم
تكون الغهوانية وقد يلتبس الشيطان ولكن اذا اعقبت
هذه

هذه الرؤيا علوما ومعارف واتباعا للشريعة وتحققا بالطريقة
فهي اكرام من الله تعالى لعبده وهي الغهوانية الصحيحة وان
اعقبتها زندقة وشيطنة واتباع هوى فهو شيطان جاء ليقطع
السالك عن الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم رأيت
ربي تبارك وتعالى في احسن صورة فقال فيم يختصم الملأ
الاعلى يا محمد فقلت انت اعلم اي رب مرتين قال فوضع كفه
بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما في السموات
والارض ثم تلى صلى الله عليه وسلم هذه الآية وكذلك نرى
ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
ثم قال فيم يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت في الكفارات قال
وما هن الكفى قلت المشي على الاقدام الى الجماعات
والجلوس في المساجد خلف الصلوات واسباغ الوضوء
في المكاره من يفعل ذلك يعش بخير ويمت بخير ويكون
من خطيئته كيوم ولدته امه ومن الدرجات اطعام
الطعام وبذل السلام وان يقوم بالليل والناس نيام
قال قل اللهم اني اسألك الطيبات وترك المنكرات
وفعل الخيرات وحب المساكين وان تغفر لي وترحمني وتتوب
علي واذا اردت فتنة في قوم فتوفني غير مفتون فهذه
هي الغهوانية الصحيحة لانها اعقبت هذه العلوم واما

Copyright © King Saud University

غيرها فهي امور شيطانيه لان المطلوب من هذه الطريقة العلوم
والمعارف الالهيه التي هي نتايج لتزكية النفس وتصفية القلب
ولكل واحد من تصفيه القلب وتزكية النفس علامة فعلامة
تصفية القلب حصول الالهامات والعلوم الربانيه والموافقه
للكتاب والسنه وعلامة تزكية النفس خلو صدره من
الغضب والكبر والحسد والعجب والكراهة لبعض الخلق والميل
للبعض الاخر ومن الشهوات فيكون الخلق كلهم على السويه
لا يحبهم محبة تميله اليهم فينقطع عن الحق ولا يكرههم كراهة
تغير باطنه عليهم فتشغله عن الحق واكبر المهمات التي تفتقر
اليها السالك في هذا المقام قطع الشهوة وهي شهوة الاكل
وشهوة اللبس فمن راى في نفسه شهوة لبعض الماكل دون
بعض او لبعض الملابس دون بعض فيجب عليه المجاهدة
وقلة الاكل الى ان تتساوى عنده جميع الماكل وجميع الملابس
فح يقال لنفسه انها قد تزكت وخلصت من شهوتها وهذا
اول درجات ... الكمال لان للكمال درجات اخرى
ولا ينال الطالب الا اذا قطع شهوات الماكل والمشارب والملبس
ووصل الى اول درجات الكمال ومال قلبه الى عالم القدس
واعرض نفسه عن جميع اللذات ومتى كان الرجل مايلا للشهوات
ولم يتدارك بالرياضات فهو ليس من سالكي طريق
الحق وان ادعاه فهو شيطان ضال مضل ينبغي على

السالك اجتنابه

اجتنابه لانه يخشى عليهم من ضلاله لان هذه الطريقة عبارة
عن مخالفة جميع العادات التي ابتلى الناس بها فمن لم تخرق
لنفسه العادات لم تخرق له العادات والسالك الصادق اذا
خالف العادات فقد خالف الناس في جميع اوضاعهم فيزعمون
انه مجنون ولا ينال الطالب الحقيقه الا اذا تركت الخلق ترك
المجانبه ومتى كان في قلبك ادنى ميل ولو لبعضهم فانك
مقطوع بذلك الميل وان اردت الوصول فاقطع عنك كل
ما يقطعك عن محبوبك ومطلوبك واعرض عن جميع ما
سوى الله تعالى ولا تجالس انسانا ولو قال لك انك
انا الخضر لان المشايخ رضي الله عنهم شبهوا الحكمة في القلب
شمعة في بيت له خمسة ابواب فان سدت الابواب بقيت
الشمعة مشعولة واضاء البيت بنورها وان فتحت الابواب
انطفت الشمعة واظلم البيت وكذلك الحكمة في القلب
مع الحواس الخمس فان توجه الى سماع المسموعات وابصار
المبصرات وشم المشمومات ولمس الملموسات وذوق
المذوقات غارت الحكمة وانطفا النور واظلم القلب وان
اعرض عن مدركات الحواس الخمس بالخلوة والعزلة عن الخلق بالرياضة
وقطع جميع الشهوات تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه
وهذا هو النور المشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم

صح

صح

Copyright © King Saud University

اذا نزل النور فى القلب انفتح وانشرح قيل يا رسول الله هل لذلك
من علامة قال نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار
الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله وتحقيق هذا ان
القلب له جهة الى عالم الشهادة هى وهى الحواس الخمس لانه
القلب لا يدرك شيئا من عالم الشهادة الا بواسطة الحواس
وله جهة الى عالم الغيب وهو عالم الملكوت فمتى توجه الى
عالم الشهادة بالحواس الخمس اعرض عن عالم الغيب ومتى
اعرض عن الحواس الخمس توجه الى عالم الغيب ولا يمكنه
التوجه الى العالمين معا فى حال بدايته فمتى توجه الى احد
العالمين اعرض عن الاخر ثم شتان بين العالمين لان
عالم الشهادة فى غاية البعد عن حضرة الحق والقلب
اذا توجه اليه وترك عالم الغيب بالكلية كان حيوانا
فلذا تراه اسير الشهوات اسير الغضب كثير الاكل كثير
النوم كثير الخوض فيما لا يعنى كثير المخاصمة والمجادلة لا
يعرف عواقب الامور واما اذا توجه الى عالم الغيب
وذلك باتباع الاوامر واجتناب النواهى والاعراض عن
جميع ما لا يعنيه من فضول الكلام وفضول المنام
وفضول الطعام تصف باوصاف الملائكة وصار غضبه
وشهوته مملوكين يتصرف فيهما كيف شاء فح يكون

٣ مدركات ص

انسانا

٣٦

انسانا الكامل محلا للامانة دون غيره وذلك لان الغضب والشهوة
صارا للروح المشتركة بين الانسان بمثابة الشئ الكثيف للمرآة
فكما ان المرآة لا تنطبع فيها الصورة الا اذا كان احد وجهيها مطليا
كثيفا كذلك الروح لا تكون محلا للتجليات الا اذا كانت مشتملة
على الغضب والشهوة لكن بشرط ان يكونا محمودين محفوظين
عن الغضب داخلين تحت سياسة العقل والشرع فالغضب
والشهوة وان سمى الانسان بهما ظلوما جهولا لكنهما اذا دخلا
تحت سياسة العقل والشرع صارا علة لحمل الامانة فحاصله
الانسان انه كان ظلوما جهولا اذ عرفت هذا عرفت ان الغضب
والشهوة ان كانا مملوكين لله كنت الخليفة المشار اليه بقوله
انى جاعل فى الارض خليفة وان كنت مملوكا لهما كنت حيوانا فى
صورة الانسان بل الحيوان خير منك لان الحيوان ليس عليه
تكليف ولا عليه عذاب فى القبر ولا فى جهنم فجد واجتهد
واترك التوانى واسع على نيل السعادة واطلب الترقى
الى اعلى المقامات ونزه نفسك عن درجة الحيوانات
واشتغل بالرياضات والمجاهدات من الجوع والسهر والاعتزال
عن الخلق والصمت والذكر والفكر فتملك غضبك وشهوتك
وينشرح صدرك فلا ترى هما ولا غما ويوضع عنك وزرك
الذى انقض ظهرك فلا يبقى فيك شئ من مقتضيات

Copyright © King Saud University

حلم لان الحلم حالة اضطراريه والتحلم من الامور الاختياريه
وهو الكظم فانت مكلف بالتحلم لا بالحلم ولكنك اذا تحلمت مرة
بعد مرة تخلقت بالحلم الاضطراري وكنت كامل العقل لان الغضب
دخل تحت شانك وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم
انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن
يتوق الشر يوقه واذا هجم عليك الغضب فتعوذ بالله
من الشيطان الرجيم وقل اللهم رب النبي محمد اغفر لي ذنبي
واذهب عني غيظ قلبي واجرني من مضلات الفتن هكذا
ورد عنه صلى الله عليه وسلم وان كنت في حال الغضب قايما
فاجلس وان كنت جالسا فاضطجع قال النبي صلى عليه وسلم
الغضب جمر يوقد في القلب الم ترا الى انتفاخ اوداجه وحمرة
عيونه فاذا وجد احدكم من ذلك شيا فان كان قايما فليجلس
وان كان جالسا فليقم فان لم يزل غيظه فليتوضا
بالما البارد او ليغتسل فان النار لا يطفوها الا الما
وكان من دعائه صلى الله عليه وسلم اللهم اغنني بالعلم
وزيني بالحلم والرضى بالتقوى وجملني بالعافيه وقال عليه
الصلاة والسلام ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما
هي يا رسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك
وتحلم على من جهل عليك فانظر يا حبيبي بعين الانصاف
الفرق بين الغضب والحلم واختر الاحسن فيهما وتخلق بدلان

اللازم

اللازم والواجب عليك كمال نفسك وتزكيتها وتصفية قلبك
وصقل مرآته وازالة الاكدار الخبيثة عنه ليصير قلبا وتصير
انت به انسانا فاستعمل هذه الادويه وعالج ذلك الشريعة
بها وتخلص من هذه الامراض النفسانيه التي هي اعظم من
الامراض الجسمانيه وانفع الادويه ازالة الكبر والعجب لان
بزوال الكبر والعجب الا اذا انقطع المدد عنهما وهو الشبع وامتلاء
البطن فجاهد نفسك بالجوع والسهر لتتخلص من الغضب وما
يتفرع منه كالحقد وتخلص مما يتفرع من الحقد والحسد وذلك
لان الحسد من نتايج الحقد والحقد من نتايج الغضب فيكون
الحسد متفرعا من الغضب بواسطة الحقد والحسد خصلة ذميمة
ملعونة قال النبي صلى الله عليه وسلم الحسد ياكل الحسنات
كما تاكل النار الحطب وحقيقة الحسد ان يكره نعمة الله
تعالى على اخيه فيحب زوالها عنه سوا كانت النعمة دنيوية
او اخرويه قال الله تعالى ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم
من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم فاخبر
الله تعالى ان حبهم زوال نعمة الاسلام حسدا واعلم
ان جملة اسباب الحسد الغضب كما مر وله اسباب اخر مثل
حب الرياسة وخبث النفس وكثيرا ما تكون هذه الاسباب
بين اهل الطريق الصوفيه فيتمنى زوال ما على اخيه

[في الهامش:] من النفس لان بازالتها يزول الغضب الاصلي لانها اصله وما ذكر من الادويه العاجلة مزيلة للغضب الطاري يعني فقط اصله وهو الكبر والعجب صح

٤٧

من المشيخة او الخلافة وما هو عليه من الاستقامة والتوجه الى
الله تعالى وذلك من حب الرياسة وخباثة النفس ولو
علم هذا الحاسد ضرر هذا الحسد في الدنيا والاخرة لترك
الطريقة واشتغل بالاسباب وذلك خير له اما ضرره
في الدنيا فلانه يتاذى بالحسد ليلا ونهارا لانه صحبة لا
يفارقه واما ضرره في الاخرة فانه سبب لسخط الله تعالى
على الحاسدين وثوابه للمحسود وعلى كل حال فالحسد قبيح
وعلاجه تخويف النفس مما يترتب عليه من التعب في الدنيا
والعنا في الاخرة واحسن علاجه التفكر في ان الحاسد صار
صديقا لعدوه بايصال الضرر الى نفسه وايصال النفع
الى عدوه وعلى الجملة فافات النفس كثيرة ولا يقطعها
الا الصادقون من سالكي طريق المغربية بمجاهدة النفس
والاستقامة بالله تعالى وعلى الشيطان ميل على كل قاطع
يقطع السالكين عن طريق مولاهم من الانس والجن وخير (هما)
لان كلما في الوجود يسعى على قطع السالك من حضرة
ربه غيرة منهم وحسدا وذلك لعلمهم ان من سلك هذا
الطريق وصدق في السلوك يؤول امره الى الخلافة عليهم
والسلطنة على جميعهم ومن كان هذا حاله فلا شك انه
محسود وكم من حسد لا يضر الا صاحبه فينبغي على السالك

ن

ان لا يلتفت الى شيء من الاشياء ولا يبالي منه ولا يخافه ولا لها (به)
لان الله تعالى اقرب اليه من جميع الاشياء ولا يتحرك رجل
نملة الا بارادته وقدرته وهو اعلم بالسرائر وما انطوت عليه
لا يعزب عن علمه شيء في الارض ولا في السماء ولانه ارأف واشفق
عليه من الوالدة على ولدها ولانه تعالى لا يصدر منه الا الخير
وما يرى من الشر فهو بالنسبة الى الظاهر والا لو نظرت الى
باطنه بعين التحقيق لرايته خيرا محضا وانما سمي شرا بسبب
عدم ملائمته لبعض الطباع وقد يكون ملائما للبعض فلذلك
قالوا ان الخير مقتضى اولا وبالذات والشر مقتضى ثانيا وبالعرض
والسالك قبل ان يطلع على هذا السر العظيم يجب عليه الجد
والاجتهاد وعلى تصفية القلب ليشاهده شهودا ذوقيا
اذا عرفت هذا عرفت ح اربعة امور لا بد منها للسالك منها
الاول انه تعالى لا يتعاصى على قدرته شيء الثاني انه تعالى
عالم بكل شيء الثالث انه تعالى رؤوف تفوق ارحم الراحمين
الرابع ان جميع افعاله خير ومن عرف هذه الامور وصدق بها
لا يخاف من كيد الحاسدين ولا يخاف من الانس ولا من الشيا (طين)
فطلبت الى الاخ بالتصديق بهذه الاربعة اشياء والتامل في
تعالى والصدق في التوجه وعدم الالتفات الى شيء من الاشياء
مما لا يعنيك فان تحققت بان الله تعالى قادر على كل شيء

Copyright © King Saud University

تزيد همتك على التوجه اليه والطلب منه مع التيقن بالاجابه
والطلب على هذا المنوال لابد واصلو واما تحققك بان
الله تعالى عالم بكل شئ رؤف رحيم وجميع افعاله خير فيحصل
الامور تحقق لك مقام التوكل والرضى والشوق والمحبة وغير
ذلك من المقامات السنيه والاحوال المرضيه وتعين
على الترقي الى المقام الثالث وهو الذى تسمى فيه النفس
بالملهمه ومنه ترتقي الى النفس المطمئنه ثم الى النفس الراضيه
ثم الى المرضيه ثم الى الكامله واعلم انه قد جرت عادة الله
ان الترقي من المقام الثانى الى الثالث لا يكون الا على
يد السالك العارف مقامات الطريق واحواله ويمكن ان
يخرق الله تعالى العادة ويرقى من له فهم وذكاء من غير
مسلك على الخصوص اذا استعان بمطالعة هذا الكتاب
لانه وان كان مؤلفه ضعيف الحال والمقال ولا يذكر بين
بين اصحاب الاحوال وليس هو من خيالة هذا الميدان
الا ان مؤلفه لم يسبق بتاليف هذا المنوال لان كل باب
من ابوابه كالمقدمة للباب الذى بعده فاذا عمل السالك
بما فى الباب الرابع مثلا يترقى فى المقام الذى اشتمل عليه
الباب الخامس وهلم جرا الى ان يصل الى اعلى المقامات
وهو المقام السابع فى الباب العاشر وكذلك الترقي

الى المقام

الى المقام الثالث ثم الى المقام الرابع لا يكون الا باستعانه ما يخاص
المسلك الكامل لا المسلك العارف لان الكامل عارف وزيادة فكل كامل
عارف ولا عكس ولا انتقال لان كل عارف كامل الا اذا اتقن المقام الرابع
الذى تسمى فيه النفس بالمطمئنه وهو ادنى درجات الكمال وقد يقال لمن
اتقن المقام الثالث عارف فالعرف وضح بينها وانما قلنا لا يكون الترقي من
المقام الثالث الى المقام الرابع الا بنفاس الكامل لان المقام الثالث اصعب
المقامات واخطرها لانه مجامع للخير والشر والنفع والضر وليلتبس فيه
الحق بالباطل والزندقة بالتحقيق الا من صادفته العنايات واتباع
الشريعة حق اتباعها وكان شريف النفس حسن الاستعداد كريم الاصل عالي
الهمة صايب الفكر قريب الكشف فانه يرى الحق حقا ويرى الباطل باطلا
ويتضح لك خطر المقام الثالث فى الباب السادس الذى هو بعد هذا
الباب واما الترقي من المقام الرابع الى المقام الخامس ومنه الى السادس
ومنه الى السابع فانه لا يحتاج فيه الى المسلك الا القليل من السالكين
لانه اذا اوقد الله تعالى فى القلب سراجا من نور الكمال ابصر السالك
جميع الكمالات ويبقى وصوله اليها متوقفا على همته بتوفيق الله
تعالى فلا يحتاج الى المسلك لقلة احتياج وقد عرفت ان المقام
الرابع مقام كمال وان كان ادنى الكمالات والله سبحانه وتعالى
اعلم

الباب السادس فى بيان النفس الملهمه

وبيان سيرها وعالمها ومحلها وحالها وواردها وصفاتها وبيان

٥

العلاج من الخلاص منه والترقي منه الى المقام الرابع فسيرها الى الله تعالى
بمعنى ان السالك لا يقع نظره في هذا المقام الا على الله تعالى لظهور
حقيقة الايمانية تجلى باطنه وفناها سوى الله في شهوده وعالمها عالم
الارواح ومحلها الروح وحالها العشق وواردها المعرفة وصفاتها السخا
والقناعة والعلم والتواضع والصبر والحلم وتحمل الاذا والعفو عن الخلق
وحملهم على الصلاح وقبول عذرهم وشهود ان الله تعالى اخذ بناصيته
كل دابة فلم له يبق له اعتراض على مخلوق اصلا ومن صفاتها الشوق
والهيمان والقلق والبكا والاعراض عن الخلق والاشتغال بالحق والتلوين
وتعاقب القبض والبسط وعدم الخوف والرجا وحب الاصوات
الحسنة وزيادة الهيمان عند سماعها وحب الذكر وبشاشة الوجه
والفرح بالله تعالى والتكلم بالحكم والمعارف والمشاهدات فهذه الصفات
وامثالها صفات النفس الملهمة وانما سميت ملهمة لان الحق تعالى الهمها
فجورها وتقواها وصارت تميز بغير آلة لمة الملك ولمة الشيطان
بعدان كانت وهي في المقام الذي قبل هذا لا تميز شيئا لانها كانت
قريبة من مقام الحيوانات ولاجل انها سمعت لمة الملك ولمة الشيطان
كان هذا المقام خطرا صعبا يحتاج السالك فيه الى المسلك ليخرج
من ظلمة الشبهات الى نور التجليات لانه وهو في هذا المقام ضعيف
الحال لا يعرف بين الجلال والجمال ولا بين ما القاه الملك والقاه
الشيطان لانه لم يخلص من الطبيعة بالكلية ولم يسلب عنه

جميع مقتضيات البشرية ويخشى عليه ان غفل عن نفسه ان يهوي الى
سجين واسفل السافلين اعني المقام الاول الذي تسمى النفس فيه
بالامارة فيرجع الى ما كان عليه من الاكل الكثير والشرب الكثير والنوم
الكثير والاختلاط مع الخلق وربما يفسد اعتقاده ويترك الطاعات
ويرتكب المعاصي ويزعم انه موحد مكاشف حقايق الاشيا وانه من
المحققين اهل الكشف وان غيره من اهل الطاعات محجوب عن هذا
فان فسد اعتقاده هكذا هلك مع الهالكين والتحق بالكفرة المشركين
واطلعت نار الطبيعة على فواده فاحرقت ما كان في قلبه من الايمان
وضاع تعبه وعناه وما بلغ شيا من مناه بل صار شيطانا ضالا
مضلا لاحت له خيالات شيطانية وظن انها تجليات رحمانية
بعد ان كانت بشريته قد رقت وروحانيته قد قويت وزال عن قلبه
همه وقرب فرحه وما بقي عليه الا القليل حتى يدخل حضرة الملك
الجليل ولاحت له بشاير التوحيد وقوي على المجاهدة والتجريد وسبب
هذه المصيبة التي اصيب بها هذا السالك بعد قربه من مقام الكمال
انه كان قريب العهد من المقام الاول الذي فيه النفس بالامارة
وبسبب الرياضة والمجاهدة انكشفت عنه بعض الحجب وزال عنه
الخوف الذي كان حاصلا من الحجب وكان يمنعه من المعاصي ويحثه
على الطاعات فلما زال خوفه ان يدوم اتباعه للشريعة
فالواجب عليك ايها الاخ في هذا المقام متابعة الشيخ وان سولت

لك نفسك انك ارقى منه وانك موحد وانه محجوب ويجب عليك
اتباع الشرع وملازمة الادب وان تكره نفسك على قراءة الاوراد
وتقيدها بقيود الطريقة وان عسر عليك ذلك لانك في هذا
المقام مائلة للاطلاق وخلع العذار وعدم المبالات والمقصود
مخالفتها الى ان تطمئن وذلك بالوصول الى المقام الرابع الذي
تتسمى فيه بالمطمئنة وهو سعادة الدارين وقرة العين ومتى وصلت
الى ذلك قدم فيه فلصق بعون الله تعالى من جميع الافات
النفسانية وجميع مقتضيات البشرية الحيوانية لانه ترقى الى اول
درجات الكمال وهبت عليه نسمات القرب والوصال وانتقل
من التلوين الى التمكين فانهض يا طالب الكمال واترك رعونات
النفس ولا تغتر بما لاح لك من التوحيد ولا تجعل شيئا يرجعك
وانقطاعك عن مطالبك العليه بل كن مستعينا به على تمزيق
ما بقي من الحجب النورانية والطلب لحضرة الاحدية ولا تلتفت في
طريقك الى ما لاح لك من الخوارق العادية لانها حجب تمنعك عن
التقرب الى الذات العليه وتكون سببا لعودك لمقام الحيوانات
فدوام على الوسائل التي اوصلتك الى ما نلت فيه من الامكان
تخلص من الخطر ويزيد انكشافك وذلك بان تفعل ما كنت
تفعل اولا من الذكر والجوع والاعتزال عن الخلق وقلة الكلام
وان تتمسك باذيال شيخك ان كان هو كاملا وسترد عليك

اوصافه

اوصافه في خاتمة الكتاب بان تخبره بكل ما خطر لك حسنا كان او قبيحا
وكلما زاد اعتقادك به قوي انجذابك الى عالم القدس وضعف جاذب البشرية
وقد يغلب على ظنك في هذا المقام انك اعرف من شيخك فينجزم المدد منه
فادفع هذا الظن بمطالعة خاتمة هذا الكتاب فانك تعلم تركه اوصاف
الكامل ولا تلتبس عليك بغيره ومتى علمت انه كامل فادخل تحت كنفه
واجزم بان خلاصك على يديه وتحمل ما تلقاه منه من الاذى وكن بين
يديه كالميت في يد الغاسل واياك ان تنكر عليه حالة من حالاته
واذا صار لك عليه انكار فاعرض عليه وتب منه اليه وقد يحصل لك
منه ما يقتضي الانكار عليه كان تراه يظهر خادمه على اتلاف شيء من
الاشياء التي لا قيمة لها ويضربه ويتالم على فقد ذلك الشيء فادفع هذا
الانكار بان احوال الكامل لا تقاس على احوال غيره ولا يعلم حقيقة
الكامل الا الله تعالى واذا لم تتيسر لك صحبة الكامل فعالج نفسك
باتباع الشرع وملازمة الاوراد الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم
من الاستغفار والاكثار من صحبة الابرار هذا كله اذا وقعت في الخطر
وغلب شرها النفس على خيرها فان لم تقع في الخطر وغلب خيرها
على شرها فانبسط وانشرح واضطرب واخلع العذار المحجوب
بالاغيار وان غضب عليك وقلاك لان مطلوبك غير مطلوبه
فلا يمكن الاتفاق بينكما لان مطلبك علوي ومطلبه سفلي وهما
ضدان لا يجتمعان فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة

الدنيا وصاحب من كان مطلبه موافقا لمطلبك وفي هذا المقام قال العارف بالله تعالى في تائيته

خلعت عذاري واعتذاري لابس الـ
خلاعة مسرورا بخلعي وخلعتي

وخلع عذاري فيه فرض وان ابى
اقترابي قومي فالخلاعة نسكتي

وليسوا بقومي اذ عابوا تهتكي
وابدوا قلوا استى نوافيه حقوقي

فاهلي في دين الهوى اهله وقد
رضوا لي عاري واستطابوا فضيحتي

فمن شاء فليغضب سواك فلا اذى
اذا رضيت عني كرام عشيرتي

والحاصل ان هذا المقام الثالث مقام جامع للخير والشر فان غلب خير النفس على شرها ترقت الى المقامات العلياء وان غلب شرها على خيرها نزلت الى سجين الطبيعه واسفل السافلين ويجب على السالك حينئذ اتعابها وتجديدها كل يوم وعلامة غلبة الخير على الشر انك ترا باطنك معمورا بالحقيقة الايمانية وظاهرك معمورا بالشريعة الاسلامية وذلك بان يكون باطنك محققا بان ما في الوجود جار على وفق اراده الله تعالى مقدر ربقدرته تبارك وتعالى وان يكون ظاهرك

منتب

٥٢

منتبا بالطاعات متجنبا عن جميع الكبائر واكثر الصغائر سواء كنت بين الناس او كنت في الخلوة هذا علامة غلبة الخير على الشر واما غلبة الشر على الخير فعلامته ان يقوى شهود الحقيقة الايمانيه على السالك ولا يحب ان يرتكب بعض المعاصي وذلك لانه لما قوى عليه شهود الحقيقة ورأى ان افعاله جارية على وفق اراده الله تعالى انحجب بانوار الحقيقة عن اسرار الشريعة فطرد عن ابواب الحضرة الجامعة للضدين وعن شهود التوحيد الحقيقي الشي ووقف عند البوارق التي وافقت طبعه وخسر دنياه ودينه فغلب شره خيره وصار زنديقا لا يقف عند دين من الاديان ولا يميز بين الانسان والحيوان وسأضرب لك مثلا يعينك على الخلاص من شر هذا المقام عند غلبة الشهود الحقيقية عليك وسقوط الشريعة من عينيك وبه تعلم ان الشريعة باطن الحقيقة وسرها لا كما فهمته من مطالعة الكتب وبعض الافواه من ان الحقيقة هي باطن الشريعة وسرها كسيد بنا دارا عظيمة ووضع لها ما يحتاج اليه الانسان من امور الدنيا والاخرة وجميع الامور الخيرية والشرية وعين لكل نوع من انواع الخير بابا واخبر عبيده انه قد جرت عادتي الى لا اخرج هذا النوع من الخير الا من هذا الباب وعين لكل نوع من انواع الشر بابا واخبرهم كذلك فعين للخبز بابا مثلا وللماء بابا وللحم بابا وللملح بابا وللشراب بابا ولكل نوع من انواع الملابس بابا وعين لقميصه ابوابا ولسراويله ايضا ابوابا ولجزمته ابوابا وامثال هذه الاشياء اما الرعد ولم يجد ثم ارسل الى عبيده رسولا

ليبين لهم ما عنده من الابواب لا اخراج ما في الدار وليبشرهم ان من وقف
على ابواب الخير وطلبه اصاب ما عنده لا العبيد وينذرهم ان من وقف
على ابواب الشر وطلبه اصابه ما عنده لا العبيد و وقف على ابواب الخير
وغضب عليه السيد خاب فبعض العبيد وقف على ابواب الخير وقفة
الذليل المحضر وطلب من السيد ما عنده بفضله وكرمه وما نظر الى الابواب
الا من حيث ان السيد عين لا ان يخرج نعمه منه فلم يحجبه رؤية الابواب
عن شهود السيد وهم احباؤه لانهم وضعوا كل شيء في موضعه
والصنف الثاني من العبيد فعلوا مثل ما فعل هؤلاء الا انهم لما وقفوا
مستقلين اعجبتهم نفوسهم وراوا انهم خير ممن لم يمتثل امر السيد فحين علم
السيد انهم معجبون فاخرج لهم ما عنده من الخير الا انه لم يقربهم
من حضرته كما قرب الصنف الاول واما الصنف الثالث من العبيد
فانهم لم يقفوا على الابواب فلم يخرج لهم ما عنده السيد لكونهم يعتقدون
ان الابواب لا دخل لها اصلا بل وهناك ابواب وان المعطي هو السيد
من غير باب ولا اقتضاء حكمة فابعدهم السيد عن حضرته لجهلهم بحكمته
وعدم وقوفهم على ابوابه فصاروا ابعد عن محبته وهو يكرههم فالعبيد على
ثلاثة اقسام قسم شهدوا السيد معطيا من باب عنده بفضله وقسم
شهدوا هذا المشهد مع رؤية نفوسهم وقسم لم يشهدوا سوى السيد والسيد
تعالى الله تعالى ولله المثل الاعلى والدار مثال خزائنه الغيبية والابواب

مثال

مثال الحدود الشرعية ورسول السيد مثال لرسول الله صلى الله عليه و
وسلم فجاء صلى الله عليه وسلم لنا الصلاة مثلا وكان قال اقيموها
وعدلوا اركانها يحصل لكم قرة العين ويرضى عنكم رب العزة جل جلاله فمن
امتثل قوله واقام الصلاة مطيعا لامره راجيا ما وعده من قرة العين في الصلاة
والنعيم المقيم في الاخرة كان من المقربين ونال مراده فوق ما كان راجيا
ومن فعل مثل ما فعل هؤلاء ولكن دخل عليه العجب حيث انه اطاع امر
سيده كان من الابرار ومن تركه الصلاة وقال ان نعم الله تعالى
والطافه وتجلياته وجنانه وحورها ولذائذ ولذاتها لا تتقيد بالصلاة
ولا تتوقف عليها لانه لا مانع لما اعطى فقد اتى الدار من غير بابها فان لم تعم
الصلاة كانت زينة بما جاها وما وعد الله في الصلاة من قرة العين فهذا
لو خرج له من بابه الصلاة ما وعده الله المقربين من التجليات لما تركها
وقس على الصلاة جميع الاوامر والنواهي الشرعية واعلم ان رضا الله
تعالى وتجلياته لا تحصل للعبد الا من باب المعصية فقف على ابواب
الشريعة وقفة الذليل واسئل مولاك كل شيء تحتاج اليه فانه لا يخيبك
واياك ان [illegible] تغتر بما يلوح لك في هذا المقام من اسباب الطرد واللعن
فتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله والله تعالى يتولى هداك واستعن
على نيل مطالبك في هذا المقام بتلاوة الاسم الثامن وهو هو تظهر
ان شاء الله على الهوية السارية في جميع الموجودات ولكن اولا يبيا السر
ثم بدو لك [illegible] في جميع الاوقات في القيام والقعود والاضطجاع

Copyright © King Saud University

آناء الليل وآناء النهار ليتخلص ببركته من خطر هذا المقام وبه ينقطع ما بقي
من التفات النفس الى المقام الاول والثاني لانها لا تخلو من الالتفات اليهما
لان الطبع يغلب التطبع وهي تترقب غفلتك فمتى غفلت عن سوقها وزجرها
عادت الى التراخي وسوقها في هذا المقام بالعشق والهيمان والشوق الى الوصال والاجتماع
مع الاحباب وتذكر لها المحبوب والتمتع بجمال وجه المعشوق فان هذه الاشيا تقوي
السالك على السير خصوصا اذا رأى نفسه رجع الى دون رتبته فانه ينقطع
قلبه ويزيد بطاقه وقد روي عن مجنون ليلى حكاية فيها اشارة الى هذا
المعنى قال ركبت ناقتي وتوجهت نحو ليلى وسترعت همتي حتى قطعت مسافة
كثيرة فغلبت على النوم فنمت فلما استيقظت رأيت الناقة قد رجعت الى المكان
الذي رحلت منه لانها الفت ذلك المكان الذي فيه ولدها فركبتها وتوجهت
مرة اخرى وسترعت همة اقوى من الهمة الاولى ففعلت مثل ما فعلت اولا ونمت
في المكان الذي نمت فيه فلما استيقظت رأيتها في المكان الذي رحلت منه اولا
فلم ازل اركبها وهي تلتفت الى الفكر وولدها حتى عجزت وزلت وقلت حيلتي
فالقيت نفسي من على ظهرها فانكسرت رجلي فرجعت زحفا الى ان وصلت الى
ليلى والقا نفسه من على ظهرها اشارة الى اظهار العجز والمذلة والانكسار
والعبودية لان هذه الاشيا تعين على الوصول الى جميع المطالب والذل
والافتقار والمسكنة لسر السعادات وكنت في هذا المقام اذا سمعت هذه
الحكاية او اذا احكيها لاحد ينقطع قلبي وتنسكب عبرتي على خدي وتركبني المذلة
والمسكنة حتى يرحمني كل من يراني ويرى حالي ومع هذا انا ملتذ ببكائي وتسنم

ينقطع

وتسنم ينقطع قلبي رضيا بالمسكنة والذل فما احسن هذا الطريق وما احلى احواله
وما اعلى مقام سالكيه وما انعم بالهم ان افتقروا منهم الاغنيا وان ذلوا فهم الاعزا
راس مالهم الذل والافتقار واظهار العجز والمسكنة قال العارف بالله تعالى
رحمه الله

ذللت لها في الحي حتى وجدتني — واد في مثال عندهم دون همتي
واحلني وهنا خضوعي لهم فلم — تروني وهنا بي محل لخدمتي
ومن درجات العز امسيت مخلدا — الى درجات الذل من بعد نخوتي
ولو عز فيه الذل ما لذلي الهوى — ولم يك لولا الذل في الحب عزتي

٥٥

واعلم ايها العارف انك وانت في هذا المقام روحاني لطيف وقد اشرقت عليك
شمس العيان واقبلت عليك بشائر الكمال وهب عليك نسيم الوصال
وكشف عن قلبك من الحجب اكثرها واكثفها وزال عن نفسك من الحظوظ اعظمها
واقبحها لان هذا المقام للسر والروح وان كانت محجوبة عن شهود جمال الحق
والمخلوقات تقطع عن الوصول الى حضرته الا ان حجابها نوراني وحظوظها نورانية
فمقبولة لان حظوظها طلب رؤية الحق وطلب المشاهدة والوصال وذلك من غلبة
العشق والشوق والهيمان المقتضية لطلب الشي قبل اوانه وهذا شان العاشقين
وانت في هذا المقام من العاشقين المتلذذين بالذل والافتقار والمحبين الذين ليس
لهم عن محبوبهم اصطبار وكلما سمعته من الاشعار المنقولة عن السادة الصوفية
فهي مقبولة في هذا المقام فاخلع العذار ولا تبال من العار واسع على قدم

Copyright © King Saud University

من اعين الناس بتغيير الملابس حتى لا يكون لهم به اعتنا ولا يكون لهم عندهم
قيمة ولا قدر ولا ذكر لان بهذه الاشيا يتبين العاشق وبه يعلم الكاذب من الصادق

قال العارف بالله تعالى

ولو لم يكن في الذل ما لذ للهوى ... ولم يك لولا الذل في الحب عزة

ومدعي المحبة كثيرون والصادقون منهم قليلون والصادق في المحبة هو الذي
ليس في قلبه سوى محبوبه نسي الخلق كلهم فلم يخطر ولا على باله واذا لم يخطروا
بباله فهو ايضا لم يخطر ببالهم فلذلك لم يذكروه ولم يلتفتوا اليه وانكروا عليه حاله
وقالوا انه مجنون لانه بدل ما كان عليه من العز والرفعة بالذل والانخفاض

قال العارف بالله تعالى

تبا له قومي مذ رأوني متيما ... وقالوا بمن هذا الفتى مسه الخبل
وماذا عسى عني يقال سوى غدا ... بنعم له شغل نعم لي بها شغل
وقال نسا الحي عنا بذكر من ... جفانا وبعد العز لذ له الذل
اذا انعمت نعم علي بنظرة ... فلا سعدت سعدى ولا اجملت جمل

واعلم يا حبيبي ان من شرط الحب امتثال امر المحبوب قال الشاعر

تعصي الاله وانت تظهر حبه ... هذا لعمري في الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لاطعته ... ان المحب لمن يحب مطيع

واياك ان تزل بك القدم وتظن ان المراد بخلع العذار تركك للاوامر الشرعية
كما تظنه الضالون المضلون الملاحدة الزنادقة الذين لم يخرجوا من عالم
ولم يكن لهم علم بالحقيقة ولا اتباع للشريعة فيتركون الصلوة والصوم ويتبعون

الشهوات

57

الشهوات ويفعلون المنكرات ويدخلون الخمارات والقهوات ومع هذا
كله يدعون انهم اناس موحدون وانهم محبون محققون وان ما هم فيه
هو خلع العذار وان مثلهم قد سقط عنه التكليف ولم يعلموا
قاتلهم الله ان هذا كفر وضلال وبعد عن حضرة ذي الجلال ولا يوافق
مذهبا من المذاهب ولا دينا من الاديان وما اشبه اصحاب هذا المذهب
بالبهائم في الاكل الكثير والشرب الكثير والنوم الكثير وعدم المبالاة وعدم الحيا
من الخلق في قضا شهواتهم بين الناس فاياك ايها العارف ان يلتبس هذا
الشهود الشيطاني عليك وتعتقد ان المراد في خلع العذار هذه الامور النفسانية
والاهوية الشيطانية بل المراد من خلع العذار انك تفعل الافعال الموافقة
للشريعة المسقطة لجاهك وتعظيمك عند الخلق الموجبة لعدم اعتنائهم
بك وعدم توقيرهم لك بان تحمل حاجتك بنفسك على ظهرك
وتحمل طبق العجين على راسك وتخبز وتنقل الما الى عيالك او الى اخوانك
وتختلف هذه الافعال باعتبار الاشخاص فقد تكون هذه الاشيا مسقطة لجاه
بعض الناس وقد يكون فيها تعظيم لبعضهم فينبغي لك ان تنظر الاشيا التي
تسقط جاهك عند الناس وتفعلها والله هو الوكيل عليك فان احسنت
احسنت لنفسك وان اسات فعليها ولا تلبس على نفسك فان وخامة
التلبيس راجعة عليك واياك ان تفعل ما يخالف الشرع وتعتقد به
اسقاط جاهك من اعين الخلق بان تشرب الخمر وتفعل شيا من المحرمات
فان هذه دسيسة شيطانية تقطعك عن مطلوبك فان المحرمات

Copyright © King Saud University

من خواطر ظلمة القلب ومتى اظلم القلب شوهدت الاشيا على خلاف ما هي عليه
ووقع الخبط وانت ان كنت صادقا في طلب الاشيا المسقطة للجاه المباهي
الشعبه تراها اكثر من الرمل والذر وغايت خلع العذار الشرعي قطع الموانع
التي تمنع من لقا المحبوب وهي كثيرة جدا ولا ينقطع كلها الا بخلع العذار بالوجه
الشرعي مثلا للبس الفاخر من بعض القواطع لانه يحتاج من ابتلي به الى تحصيله
بانواع الحيل والتعب وهذا قاطع عن محبوبه فاذا خلع العذار لبس ما وجده وسهل
عليه عليه تحصيله وتوجه الى محبوبه فهذه بعض فوايد خلع العذار وقس على
هذا المثال ان كنت عارفا كل شي يقطع عن نفحات القرب ويصرف وجه
السالك عن جناب الرب واعلم يا حبيبي انك في هذا المقام لا يضر عليك
خلع العذار كما يضر في غيره في المقامات لان هذا المقام مقام العشق والعاشق
يسهل عليه خلع العذار ولذلك لم نذكره في المقام الذي قبله ولا في الذي بعده
لان لكل مقام له مقال وما الذه اذا كان على الوجه الشرعي وما انوره وما
اكثر ثوابه وما اقبحه عند العقلاء وان اغتاظ منه الحمقا والسفهاء واعلم انك
متى تمكنت خلع العذار ماتت نفسك الشيطانيه القاطعة من جناب الحق وحصل
لك خطاب من الروحانيين بامر ونهي اوخبر فلا تلتفت الى شي منه قال
الله تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ولا تريدك خطابهم فرحا ولا
حزنا لان مقصد جميع ان يلهوك عن مطلوبك فلا تشتغل الا بمحبوبك وان لم تسمع
شيا فهو الاحسن فهو الاحسن في حقك والاصلح لك لان الطالب قد ينقطع
عن السلوك بسبب شي من ذلك لانه شي غريب ما سمع مثله قط فيظن
انه خطاب الحق وانه وصل الى مطلوبه فيفتر همته ويرجع الى عالم الطبيعه
وهذا ايضا من خطر هذا المقام فكن منه على حذر وتنقطع عن جميع الانوار
فان

فاذا الى ربك المنتهى ولا تقف عند شي سوى الله تعالى واستعن به
على قطع كل ما يقطعك عنه فانه لا وصول اليه الا به واياك ان تغتر بشي
يكشف لك فتفترق عن مجاهدتك بعد ما صارت لك خلقا وسهل عليك
لان مطلبك غالي الاسعار على المقدار كثير الاخطار لا يصل اليه الا من
صدق ارادته وفي هذا المقام تعرض عليك حالة الفنا فيعينك على الترقي
من هذا المقام الى المقام الرابع وهو الذي تكون النفس فيه ملهمة والفنا
في هذا المقام حالة تعرض على السالك تغيبه عن كل مدرك غيبة
ذهولية لا غيبة اغما او نوم فتذهل كل حاسة عن محسوسها وتصير كانها لم
تدرك ولا تدرك شيا فتذهل العين عن المبصرات مع ابصارها لها فتصير ٥٧
حال السالك كحال رجل اصيب بمصيبة فهو في تلك الحالة على صاحبه
ونظر الى وجهه ولم يلحظه فاذا قال له لاي شي تمر بي ولا تسلم على فيقول
له والله ما رايتك من عظم مصيبتي وكذلك الاذن تسمع الاصوات وكانها
لم تسمع وكذلك جميع الحواس وتذهل العقل ايضا عن المعقولات وهذه الحالة
لا يعرفها من المعرفة الامن اتصف بها ومن هنا قال العارف بالله تعالى
او قفني وقال الي اعرفني بالمعرفة التي لا يجاورها الجهل فان المعرفة التي يقابلها
الجهل جهل وهذا الفنا هو الفنا الاول واما الفنا الثاني فيعرض عليه في المقام
الخامس الذي تسمى النفس فيه بالراضيه واما الفنا الثالث فهو هلاك
الصفات البشريه في المرتبة الاحديه وقد قربنا انه في تعريف هو عين اليقين
وهذا الفنا الثالث هو عين البقا ولذا قيل

فيفني ثم يفني ثم يفني — وكان فناؤه عين البقا

واعلم انك في حال الفنا الاول تسمع كلام الروحانيين لا بجاسة السمع ولا تفهم منهم شيئا ولكن اذا انصرفت عنك حالة الفنا ورجعت الى الاحساس فهمت ما قالوه ووعيت ما القوه اليك وتصورت ما نفثوه في مرآة قلبك فحق ان تكلمت نطقت بالحكمة واشير الى هذا السر بقوله من اخلص لله اربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وكلام الروحانيين على هذا الاسلوب يقال له صلصلة الجرس اللهم انا نسألك اذا اعطيت لا تحرمنا والمحبين هذا الفنا ولا تجعل حظنا منك العنا وحظوظ نفسنا ولا تجعل الدنيا اكبر همنا ولا مبلغ علمنا واصرف عنا كل شي عنك يقطعنا فان قلت هل لهذا الفنا سبب اذا فعله السالك تعرض له هذه الحالة فالجواب ان سببه ستة امور بها صارت الابدال ابدالا وهي الذكر والفكر والجوع والسهر والصمت والاعتزال ولعظم اسباب الجوع فيا ايها الراغب في هذا الفنا لا تترك الرياضة والمجاهدة في هذا المقام وان صعبنا عليك ولا تنس فضلها عليك ولا تغتر بما يدع لك من البارقات التي لا تعلم انها شيطانية او رحمانية لما عرفت ان هذا المقام اعني المقام الثالث محل التلبيس لا يفرق السالك فيه بين ما يلقيه الملك وبين ما يلقيه ابليس قيل للجنيد رحمه الله تعالى قد وصلت الى الله تعالى فاي غرض لك فقال شي اوصلني الى مطلوبي لا ينبغي لي تركه وانت ايها السالك لا تغتر بما يدع لك وتترك الاشيا التي تحققت انها خير محض والتي توصل بعون الله الى ما صعب من الطريق فان النفس عدوة فلا ينبغي ان تامنها ولو بلغت المقامات العلية فدوام على الرياضة والمجاهدة يزيد تنقل

ودعوى

في السبعة صح

ويقوى وتلتذ بما انت فيه من الشوق والسكر وخلع العذار ومقام العشق مقام لذة حتى ان العاشق من عظم ما يرى من اللذة لم يرد الترقي من مقام العشق مع ان العشق حجاب عن المعشوق ولا يرغب في الخلاص مما هو فيه من ضيق الصدر والكابة وتقطع الاحشا وغير ذلك مما هو مسبب عن العشق بل يطلب دوام هذه الحالة عليه قال سلطان العاشقين مخاطبا للذات العلية

ولو لفنائي من فنائك رد لي — فؤادي لم يرغب الى دار غربتي

فحالة العشق حالة مقبولة عند العاشقين وان كانت بالنسبة الى ما فوقها من الحالات مذمومة حتى ان الكامل اذا انذكر حالة العشق واوقاته تراه يتحسر لما وقع من خلع العذار وعدم المبالاة وتكرار مع المجاهدة والرياضات حالة صادقة وصاحبها صادق في جميع ما يقول من اشعار العاشقين واذا تكلم ينطق بحرقة وتاوه ناشي من قلبه وهي مع عدم المجاهدة والرياضة حالة كاذبة ليس لما يقوله من اشعار العاشقين طعم ولا له في القلوب تاثير تمجه النفوس اذا سمعته وقد اخبر عن هذا العاشق الكذاب سلطان فاعل العاشقين سيدي عمر ابن الفارض

تعرض قوم للغرام واعرضوا — بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا

رضوا بالاماني وابتلوا بحظوظهم — وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا

فهم في السرى لم يبرحوا من مكانهم — وما ظعنوا في السير عنه وقد كلوا

وعن مذهبي لما استحبوا العمى على الـ — هدى حسدا من عند انفسهم ضلوا

ولما كان هذا المقام للروح والروح محل العشق والهيمان والذهول كانت اقامة السالك فيه من طويلة لان العاشق ذاهل عن نفسه ومشتغل عن محبوبه بذكر اسمه

Copyright © King Saud University

٥٨

والترنم بالاشعار التى يبدع فى حسنه وجماله وذلك كله فى حالة البسط واما اذا وردت عليه حالة
القبض بعد البسط واستيقظ من نومة العشق والهيمان ضاق صدره وكاد ان يتمزع قلبه
من صدره فيذبل ويضمحل ويفتر حتى ولا تزال الحالتان القبض والبسط يتعاقبان
على السالك فى هذا المقام حتى يترقى الى المقام الرابع فيتمكن فيه ويتبدل القبض
والبسط بالهيبة والانس وهما حالتان يتعاقبان على الكامل لا يعرفان الا بالذوق
والفرق بين الهيبة والقبض ان القبض تضيق منه النفس والهيبة ليست كذلك
والفرق بين الانس والبسط ان البسط يطلب صاحبه حتى ان يخشى عليه ان
يسيء الادب مع الحق تعالى والانس ليس كذلك وعلى الجملة فالخوف والرجا
والقبض والبسط والهيبة والانس حالتان لا غير ولكن تتبدل اسماؤهما باعتبار
الاشخاص والمقامات فاذا اتصف بهما من كان فى النفس الامارة او اللوامة [redacted]
سميا خوفا ورجا واذا اتصف بهما من كان فى النفس الملهمة سميا هيبة وانسا واذا اتصف
بهما من كان فى النفس الكاملة سميا جلالا وجمالا فالخوف والرجا للمبتدى والقبض
والبسط للمتوسط والهيبة والانس للكامل والجلال والجمال للخليفة فاجتهد يا
اخى على الترقى مما انت فيه من القبض والبسط لتترقى لك الى الجلال
والجمال المربيين لك فان كليهما حسن ومنفعته لك ولا خوف عليك على الخصوص
الجلال فانك ما توجهت فى حالة الجلال الى شيء الا وقع باذن الله تعالى لانك
حينئذ خليفة الله تعالى فى ارضه وعبده المتحقق الصرف فيفيض لفضله ونعم
لا نتقامك فترى التاثير الجارى على يدك فى الوجود بعينك من غير شبهة
فيزيدك ذلك ادبا مع خالقك وتوبة من ذنوبك واستغفارا من غفلة
قلبك عن مقام العبودية ومتى رأيت نفسك مستقيما على المجاهدة والرياضة
فافرح بذلك واستقم كما امرت واعبد ربك حتى يأتيك اليقين فانك
وانت على هذه الحالة تتعرض للكمال وللجذبة التى هى خير من عمل الثقلين فلا تضجر
ولا يضيق صدرك فانك على خير ومتعرض الى السعادة واذا حصل لك
ضيق

وحصر فاصبر ولا تخلو وانت فى هذا المقام من حصر لانه مقام الروح والروح له الاطلاق
ففى ساعات القبض يريد ان ينكسر قفص الجسم لتتصل بعالمه وهو عالم المجردات اى عالم
الجبروت ولا تقدر على ذلك فاصبر على ساعات القبض وحرارته فان هذه الحرارة
كلها لا تنعد ولا تحصى ومن جملتها انه لولا نار القبض وحرارتها لما اتصفت النفوس مما فيها
من القبائح والمفاسد لانه لا يتميز الخبيث من الطيب الا بالنار ومتى
رأيت نفسك غير مستقيم على المجاهدة ومنهمكا على الاكل ومعاشرة الخلق والميل اليهم فابك
على نفسك وعلى ما اصابك من التنزل من المقام الاعلى الى سجين الطبيعة واسفل
السافلين واطلب من الله تعالى العود الى ما كنت عليه بل الترقى منه الى الكمال لان كثيرا
من الطالبين لم يستقم فتزل به القدم ولم يصبر فيندم حتى لا ينفعه الندم فخالف نفسك
فى هذا المقام ولا تزل معاديا لها وكلما رأيت لها ميلا طبيعيا الى شيء من الاشياء فجاهدها
والعنها واقطع عنها ما طلبت منك شيئا من احوال الطريق وطاوعها وان كان فيه افراط
من الجوع الكثير والسهر الكثير والاعتزال عن الخلق بالكلية وقلة الكلام فينبغي عليك
مطاوعتها وان كانت غير مخلصة فى هذه الاشياء وقصدت بها الرياء لان الريا قنطرة
الاخلاص ولا يزال السالك يرائى حتى يخلص بعون الله تعالى حتى انهم قالوا لا بأس
بان تخدع النفس لوعدها بالكرامات وحب الخلق لاجل توجههم اليها حتى تميل للمجاهدة
وترك العادات وان كانت هذه الاشياء مذمومة فله ان يقول لنفسه انك اذا
توجهت الى الله تعالى بالرياضات والمجاهدات يجرى على يدك خرق العادات ولكن
يجب عليه ان يكون ما بينه وبين الله عازما بان تكون جميع افعاله ومجاهداته لاجل
رضوان الله تعالى ولتصفية نفسه من الرذائل وتحليتها بالكمالات والفضائل

Copyright © King Saud University

وانت ايها الاخ اياك ان تقف على ما لاح لك من العارفات لان كلا قواطع تقطعك عن مطلوبك
قال ابن عطاء الله في الحكم ما وقفت همة سالك عند كون من الاكوان الا نادته حقا يقرن الذى
تطلبه امامك انما نحن فتنة فلا تكفر وبعض السالكين يحصل له شيء من هذه الاشياء وذلك
لصدق توجهه لخالقه وعدم تطلبه ذلك بتره وقلبه فيتدرج من الفتن والمحن والوقوف
عند الاكوان لان من كوشف بشيء ومر في البداية كان متعرضا في العطب والقطيعة الان يلطف به
من ابتلاه واعظم ما يكرم به السالك في سلوكه ان تبدل اوصافه الذميمة باوصاف مولاه الحميدة
المقبولة المحبة له من الهلاك لان المقصود من هذا السالك الوصول الى ملك الملوك
والوصول لا يكون الا برفع الحجب السبعة المذكورة والحجب هي في الحقيقة عدم المناسبة
بين الطالب والمطلوب فتبديل الصفات يقرب للمناسبة فافهم فانه من الاسرار واجتهد
على تبديل الاوصاف والاخلاق ان كنت مشتاقا للجمال المطلق عن كل قيد حتى عن الاطلاق
فتبدل الشبع الذى هو اسفل الصفات بالجوع وبدل الفهم بالسهر والكلام بالصمت والعز والتكبر
بالذل والافتقار وامثال ذلك لان عدم الاكل وعدم النوم وعدم الكلام فيما لا يعني
وامثالها من صفات الملائكة واضدادها من صفات الحيوانات والانسان متوسط
بينهما فكن انسانا حقيقيا لا انسانا حيوانيا فترقى بالانسانية الى ما لا تصل اليه الملائكة
وتتقابل مرآة عبوديتك الحقيقية الذليلة بمرآة ربوبيته تبارك وتعالى واكمل كمالا كون
العبد في اخر درجات العبودية ولذلك قالوا ان اخر درجات العبودية مقام مخصوص
بالسيد الاعظم صلى الله عليه وسلم فليس لك في اخر درجاتها نصيب فلا تطمع فيه بل
لك ان تطلبه ما يقاربه من الدرجات اذا عرفت هذا عرفت ان الذل والانكسار
هو اكسير العادات وعرفت ان اسرار الربوبية مودوعة في المسكنة والعبودية فافهم
وتامل واسلك طريق الذل والافتقار تكن من العبيد الخلص الاحرار عن رق الاغيار
فانك لا تنال مطلبا من المطالب الا بالعبودية وقد يحصل بدونها لكن لا يتم قال ابن
عطاء الله في الحكم ادفن وجودك في ارض الخمول فما نبت مما لم يدفن لم يتم نتاجه
وقـ

وقال بعض السادات طريقنا هذا لا يصلح الا لاقوام كنست بارواحهم المزابل وقال بشر بن الحارث
ما عرف رجلا يحب ان يعرف الا ذهب دينه وافتضح فادفن وجودك واخف شخصك حتى يصدق
عليك هذا قوله صلى الله عليه وسلم موتوا قبل ان تموتوا وقوله من اراد ان ينظر الى ميت يمشي على وجه
الارض فلينظر الى ابي الصديق وتحسب لك هذه الموتة عند الموتة الطبيعية حتى اذا جاءك الملك
الموكل بقبض روحك ياتيك لانه ينقلك من دار الى دار ويخلصك مما بقي فيك من الاكدار
فيسلم عليك ويتلطف بك وذلك لانك قد مت الموت الارادي المطلوب بقوله موتوا قبل
ان تموتوا وهو الفناء الذى بيناه لك في هذا الباب وهو حالة لا يبقى للسالك معها ميل
الى مال او ولد او شيء من الدنيا ولا له خوف من مطلوب مكروه اصلا ولا شك ان هذه
الحالة هي حالة الاموات حتى ان الميت يكشف له عن البرزخ وهذا السالك ايضا في هذه
الحالة يكشف له ايضا عن عالم المثال والبرزخ فعالم المثال والبرزخ كلاهما شعبتان من عالم
الملكوت فاذا دخل السالك في عالم المثال والبرزخ شاهد منه ما يناسب استعداده وقابليته
من الاجتماع مع الاشباح كما ذكرنا فالواجب عليك ايها الاخ انك اذا لم تكن واصلا الى هذه
الاحوال فكن متعشقا لها طالبا لتحصيلها لان كل من طلب شيئا وجد فيه ناله بتوفيق
٦٠ الله تعالى فاستعن ايها السالك بما ذكر من الرياضات والمجاهدات ولا تغتر لمن
تلا وفق الاسم الثالث فان للاسماء خواص لا تنكر فخواص الاسم الاول عجيبة ويعرفها
غالب السالكين وهي انه اذا واظب على الذكر يوقد الله تعالى في قلبه مصباحا ملكوتيا
فيرى به ظلمة النفس الامارة ويرى جميع قبائحها وافعالها فيجتهد على اخراج ما قبح وخاصية
الاسم الثاني اخراج المشتغل به من ظلمات المعاصي الى نور الطاعة وخاصية الاسم الثالث
ظهور الهوية المطلقة والحقيقة الايمانية والمعارف القدسية الربانية على قلب المشتغل
به فيرغب في الحياة الابدية ويتجافى عن لذة الدنيا الدنية واعلم ان خواص الاسماء لا تظهر الا
لمتحقق الذل الخلي العقوى والخفي بالمداومة مع الاداب وهي ان الذاكر مستقبل القبلة ان امكنه
فاذا كنت ٣ جالسا على ركبتيه ادبا ويحاول ان يكون خالي البال وان يلف سمعه نطقه صاغيا لما يقول مع
نطاقه الظاهر وابا طهره المداومة على الوضوء مع الاداب ~~وهي ان يكون الذاكر مستقبل القبلة~~
متمسكا بالشريعة والطريقة واجعل ذكرك بهذا الاسم في بعض الاوقات لا دائما ولا هو
بعد المداومة وهو لانه ذكر عظيم الشان وكم حالة الذكر كانت تحاطب اعضائك

بأن ليس في الوجود الا هوية الحق تعالى وان كل ما سوى الله تعالى فهو صفاته تعالى وافعاله
فهذا الشهد هو مشهد الكاملين واذا كلفت نفسك بهذا الشهود وتدمنت عليه صار لك
حالا لا ينفك وهو الغاية القصوى وصاحبه لا يحجب بالخلق عن الحق ولا بالحق عن الخلق
ولا بالكثرة عن الوحدة ولا بالوحدة عن الكثرة بل يشهد الكثرة في عين الوحدة والوحدة في عين
الكثرة ويشهد الحق تعالى الظاهر في المظاهر فلا يشهد ظاهرا وهو الله ولا مظاهر وهم
الخلق كما هو مشهد الموحدين ولا مظاهر بغير ظاهر كما هو مشهد المحجوبين المسجونين في الغرق
الاول وانما قلنا ان هذا مشهد الكاملين لان المشاهد ثلاثة كامل وناقص وانقص
فالكامل ما ذكرناه والناقص مشهد الموحدين الذين اتحد في شهودهم الظاهر والمظهر واستهلكت
المظاهر عندهم في الظاهر فلا يشهدون كثرة اصلا ولا خلقا ولا سوى وهذا مشهدهم ناقص
لما فيه من التعطيل وابطال خواص اسماء الله تعالى ولكن صاحبه معذور لانه في المقام الثالث
وهو مغلوب وللمقام الثالث نقص واما المشهد الانقص فهو مشهد المستبدين الذين المحجوبون
بالخلق عن الحق فلا يشهدون الا خلقا وبالكثرة عن الوحدة فلا يرون الا الكثرة فالكامل شهود
الكثرة في عين الوحدة والوحدة في عين الكثرة من غير احتجاب باحدهما عن الاخرى فلا
يحجب الكامل بالخلق عن الحق فلا يشهدون الا خلقا وبالكثرة عن الوحدة فلا يرون الا الكثرة
فالكمال شهود الكثرة في عين الوحدة والوحدة في عين الكثرة من غير احتجاب باحدهما
عن الاخرى فلا يحجب الكامل بالخلق عن الحق نحو ولا بالحق عن الخلق فاول درجات
الكمال هو المقام الرابع الاتي بيانه في الباب الذي بعد هذا الباب والله اعلم

الباب الرابع في بيان النفس المطمئنة وبيان سيرها وعالمها ومحلها
وحالها وواردها وصفاتها وبيان كيفية الترقي عنها الى المقام الخامس فسيرها
مع الله وعالمها الحقيقة المحمدية ومحلها السر وحالها الطمانينة الصادقة وواردها
بعض اسرار الشريعة وصفاتها الجود والتوكل والحلم والعبادة والشكر
والرضا بالقضا والصبر على البلا ومن علامات دخول السالك في هذا المقام
اعني المقام الرابع الذي تسمى فيه النفس مطمئنة انه لا يفارق الامر
التكليفي شبرا ولا يلتذ الا بالتخلق باخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم ولا يطمئن

الا باتباع

الا باتباع اقواله لان هذا المقام مقام التمكين وعين اليقين والايمان الكامل كما ان
المقام تلتذ بالسالك اعين الناظرين وتسماع السامعين حتى انه لو تكلم طول الدهر لا يمل
من كلامه وذلك لان لسانه يترجم عما القاه الله تعالى في قلبه من حقائق الاشيا واسرار
الشريعة فلا يتكلم كلمة الا وهي مطابقة لما قال الله تعالى ورسوله من غير مطالعة في كتاب
ولا سماع من احد وذلك لانه قد سمع بغير حاسة ما القاه الله تعالى في سره انا نزلك
ايها الحبيب وانت سري فاطمئن مما كان فيه من الاضطراب وغرق في بحر الحيا والاداب
فلازمته الخشية والهيبة وخلعت عليه خلع الوقار والقبول وظهرت له حقيقة عالم
الكون والفساد وعلم معنى قوله تعالى كل من عليها فان فيجب على السالك في هذا المقام
الاجتماع مع الخلق في بعض الاوقات ليفيض عليهم مما انعم الله به عليه ويترجم عما في قلبه
من الحكم فاخرج ايها الكامل اليهم واحسنه كما احسن الله اليك ولكن كن مع الله وقت
لانك وانت في هذا المقام في ادنى درجات الكمال فلا يناسبك مخالطة الخلق في جميع
الاوقات لئلا تنحرم الترقي الى المقامات الباقية اعني المقام الخامس والسادس
والسابع فمتى كانت الفائدة في العزلة فاعتزل او في الاجتماع فاجتمع وعلامة
فائدة الاجتماع ان يستفيد الحاضرون منك ما وهبك الله تعالى من علم الصدور لا علم
السطور واشتغل في هذا المقام بالاسم الرابع وهو حق بحرف النداء او بدونه فاكرمته
ولا تلتفت الى ما يظهر لك واطلب منه ان لا يظهر لك ما يكون سببا لانقطاعك عن
خدمته وعن الوقوف على بابه فانما يكون لك عندا ان لم تكن محفوظا معه كان شيطانا
ليبعدك عن حضرة القرب لان حضرة القرب لا يدخلها الا العبيد المخلص الذين ليس لهم
ما يفترن به من خوارق العادات ولذلك ترى المحفوظين من الكمل اذا اظهر الله تعالى على
ايديهم شيا من الكرامات لا يحتفون بها ولا يعلمون اظهرت لهم كرامة اولا روحيه

Copyright © King Saud University

أن رجلا من أولياء الله تعالى مر برجل فضربه بحصاة أصابته في كعبه فما التفت إلى الضارب
ولا عرفه ولكن الله تعالى أكرمه بأن سقط الضارب ميتا فقيل للولي أين أنت من العفو
والسماح وهل يجوز لك قتل نفس حرمها الله فقال والله ليس لي علم بما يقولون ولا أعرف
الرجل ولكن جرت عادة الله تعالى بإكرام أوليائه من حيث لا يعلمون وأمثال هذه
الحكايات كثيرة فافهم المقصود واطلب من الله تعالى النصر والإعانة على تمزيق ما
بقي عليك من الحجب فإن الحجب في هذا المقام حب الكرامات والميل إليها والوصول
وأن إلى ربك المنتهى وكل ما سوى الله تعالى فتنة فلا تقف عنده فتكفر وقد مثلوا
حال من هو وقف عند ما ظهر له من الكرامات بحال رجل طلب بيت الله الحرام وسار
مع الحاج وقطع من الطريق أكثره فعند ذلك عرضت له امرأة حسناء لم ير الراؤون (?)
مثلها فادهشته وأخذت عقله فأراد الإقامة عندها ليتملى بها ويواصلها فقام
أمير الحاج إليه وقال له لا تقم هنا فتنقطع عن الحاج وقطع الطريق ولكن اذهب
معنا وزر بيت الله الحرام فإذا رجعنا تعقد عقدك وتدخل عليها بالحلال وإن أقمت
فلا يحصل لك الوصال وإذا حصل ولا بد فبالحرام لا بالحلال فتنقطع عن بيت الله
تعالى وتعصه فغلبه عليه هواه وانقطع عن رفقته ثم دنى منها وأزال البرقع عن وجهها فإذا
عجوز مقلعة الأسنان قبيحة المنظر منتنة الفم فندم حيث لا ينفعه الندم وأراد أن يلحق رفقته
فما قدر فصار يبكي الليل والنهار فالمرأة مثال الكرامة التي تطلع السالك في سلوكه وبيت
الله الحرام مثال لحضرة القرب وطريق الحاج مثال لطريق القوم رضي الله عنهم فالسالك لا شك
أنه إذا وصل إلى حضرة القرب تصير الكرامات كلها طوع يديه وإن غلبه هواه السالك عليه وطلب
الشيء قبل أوانه وتعرض لطلب الكرامة أتعب نفسه فيما لا يعنيه وانقطع عن مطلبه فإذا
حصلت له الكرامة وجدها كونا من الأكوان لا تنفعه في الدنيا ولا في الآخرة فإذا عرف
حقيقتها ندم وبكى لأنه تقهقر عن مقامه الذي تعب عليه حتى حصله واعلم أن نفس
الكرامة ليس شيئا قبيحا لأنه إكرام من الله تعالى لعبده ولكن تطلع والميل إليها شيء قبيح
قاطع عن حضرة القرب التي لا تنال إلا بالعبودية المودوع فيها أسرار الربوبية فافهم ولا تقف
عند كون من الأكوان فيكون حظك ذلك الكون واعلم أنك في هذا المقام

تميل

تميل إلى الأوراد والأدعية ويكثر حضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم محبة غير المحبة التي كانت قبل
هذا المقام وإياك أيها المؤمن الكامل أن تأمن للنفس في مقام من المقامات لأنه العدو الذي
غرس في طبعه العدوان لا ينبغي أن يؤمن مكره وإن صار صديقا ولأن الإنسان متعرض للصحة والبلوى
والعطب فينبغي عليه التحرز من الآفات إلى الممات وقد يعرض لك في هذا المقام حب المال
لتستعين به على طاعة الله وتعين به إخوانك فلا يضرك لكن بشروط الشرط الأول أن
يكون قصدك الاستعانة المذكورة الشرط الثاني أن لا يشتغل قلبك في تحصيله اشتغالا
يلهيك عن ربك الشرط الثالث أنك إذا حصلت شيئا من المال فلا تخفيه عن الناس وتظهر
أنك فقير وقد يعرض لك في هذا المقام حب الرياسة والشهرة وتدخل عليك نفسك بأن
تعرض للمشيخة والإرشاد ليجتمع عليك الناس ويحصل لهم على يديك الاهتداء ويحصل لك
الثواب فإياك أن تتعرض لشيء من ذلك فإنه دسيسة من النفس وأما إذا أخذك
الله تعالى وأنت في هذا المقام وأشهرك وألبسك ثوب المشيخة من غير سعي منك ولا وجد
ولا تطلب فقم بأمر الله تعالى فإنه خير لك من الاعتزال وعلامة القيام بأمر الله تعالى أن
تكون محببا لإخوانك وهم مطيعون لك ومن علامته أنك تنظر في نفسك فلا تجد
لك عليهم تميزا وتنظر أنهم متفضلون عليك وأنهم خير منك من وجه لأنهم
يرون أنفسهم أحقر منك فلهذا كانوا خيرا منك فإذا كنت مع إخوانك هكذا فأرشدهم برفق
وعظهم وحسن لهم طريق التصوف والذل والافتقار واخفض لهم جناح الذل واحمد الله تعالى
حيث جعلت أهلا لهذا المقام الذي لست من أهله واشهد المنة لهم عليك ومتى عرفت أن
المنة لك عليهم فاعلم أنك لست من خيالة هذا الميدان فاترك المشيخة وفارقهم واسع على
خلاص نفسك مما بقي عليها من الأكدار فإنه الوهم في حقك وفي حقهم وذلك لأن بعض النفوس
هينة لينة لها باعتبار الفطرة والاستعداد الأصلي شرف وزكا فإذا مرت على المقامات
مرت بسهولة وهناء وإذا وصلت إلى هذا المقام أعني المقام الرابع استحق صاحبها أن يكون مرشدا
لما فيه من الروح واللطف والحلم الفطري وقد مرت على المقامات وصفت مما عرض عليها من
الكدورات البشرية فلا بأس من أنه يرشد الإخوان وينصح لهم الأدوية النافعة في هذا
الطريق بالشروط المذكورة هذا إذا لم يكن هناك مرشد أكمل منه فإن كان من هو أكمل
منه فيجب عليه أن يرى ذلك نعمة من الله تعالى حيث أنه أراحه والمشيخة وبعض النفوس
صعبة خبيثة لئيمة وقد مرت على المقامات وتبدلت أوصافها الذميمة بالأوصاف
الحميدة وإذا وصلت إلى المقام الرابع وصفت لطيفته الأولى لا تصلح للإرشاد في هذا

Copyright © King Saud University

المقام لانعدام شروط الارشاد منه فينبغي عليك يا صاحبي ان لا تستعجل في التقدم وكمل سلوكك بالترقي
الى المقام الخامس والسادس والسابع اذا عرفت الفرق بين النفوس عرفت انه لا خلاف في المعنى بين من
قال ان المقامات التي يترقى فيها السالك سبعة وهم الخلوتية وبين من قال انها ثلاثة وهم غيرهم
لان غير الخلوتية لا يعدون المقام الاول الذي تسمى النفس فيه بالامارة مقاما فيعدون الثاني
وهو الذي تسمى النفس فيه باللوامة والثالث وهو الذي تسمى النفس فيه بالملهمة والرابع
وهو الذي تسمى النفس فيه بالمطمئنة ولا يعدون الخامس والسادس والسابع لانهم لم يعتبروا
الا النفوس الزكية باعتبار الوضع ولا شك ان هذه النفوس اذا وصلت للمقام الذي تسمى
فيه النفس بالمطمئنة حلت وصلحت للارشاد واما الخلوتية فعدوا المقامات سبعة
وجعلوا اولا النفس الامارة واخرها النفس الكاملة وهذا الكتاب مركب على مذهبهم لانه
بين جميع نفوس السالكين زكية باعتبار الغفلة فهو جامع للطريقية والمذهبية واعلم ان
غير الخلوتية لا يلقنون السالك الا ثلاثة اسماء فيلقنونه وهو في النفس اللوامة
لا اله الا الله وفي اول الملهمة الله الله الله وفي اخرها هو هو هو وهذه النفس
الاثم يدخل على النفس المطمئنة ولا يلقنونه غيرها واعلم انك اذا تممت المقام الرابع
والحالات نفسك طمأنينة رحمانية وما زلت قدمك عن اتباع الكتاب والسنة ولا
قدر شعرة بل جامع الشرع والاتباع لحالك وومك جذبتك يد الالطاف جذبة
الكمال وهي غير الجذبة الاولى التي هي في اول السلوك ونودي على نفسك
بلسان سر السرائر يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فتعذبك
النسيان فلا تدرك شيئا من امور الدنيا والاخرة الا اذا كان حاضرا عندك ومتى
غاب عنك غبت عنه وذلك لان قلبك حتى لا يفتر عن شاهد جمال الحق وجلاله
والله سبحانه وتعالى اعلم

الباب الثامن في بيان النفس الراضية

وبيان سيرها وعالمها ومحلها وحالها وواردها وصفاتها وكيفية الترقي منها الى المقام
السادس فسيرها في الله وعالمها اللاهوت ومحلها سر السر وحالها الفنا لكن
لا بمعنى الفنا الذي مر بيانه والفرق بينهما ان ذلك حال المتوسط في الطريق وقد عرفت
انه ذهول الحواس عن المحسوسات وهذا حال المترقي على البقا الذي هو في اواخر
السلوك والمراد به محو الصفات البشرية والنهي للمقام عن ان يعقبه البقا
في الحال لان الفنا ذلك هو حق اليقين وهو بعد هذا الفنا ويحصل في المقام
السابع المذكور في الباب العاشر وهذه النفس اعني الراضية ليس لها وارد
لان

لان الوارد لا يكون الا مع بقاء الاوصاف وقد زالت في هذا المقام حتى لم يبق لها اثر ولذلك كان السالك
في هذا المقام فانيا لا باقيا لنفسه كما كان قبل هذا المقام ولا باقيا بالله كما سيكون في المقام السابع
وهذه حالة لا تدرك الا ذوقا وقد يحكي الكامل ان يفهمه للمريد المنتهي للكمال وصفات هذه النفس
الزهد فيما سوى الله تعالى والاخلاص والورع والنسيان والرضا بكل ما يقع في الوجود من غير اختلاج
غيرهم قلب ولا توجه لدفع المكروه منه ولا اعتراض اصلا وذلك لانه مستغرق في شهود الجمال
المطلوب ولا يحجبه هذه الحالة عن الارشاد والنصيحة للخلق وامرهم ونهيهم ولا يسمع احد كلامه
الا وينتفع به كل ذلك وقلبه مشغول بعالم اللاهوت وسر السر وصاحب هذا المقام غريق
في بحر الادب مع الله تعالى ودعوته لا ترد الا انه ينطلق لسانه بالقول حياء وادبا الا اذا
اضطر كانه يطلب ويدعو فلا ترد دعوته وهو عزيز عند الخلق محترم عند الاكابر والاصاغر
لانه قد نودي عليه من حضرة القرب انك اليوم لدينا مكين امين وصار تعظيم الخلق له قهريا
لا يعلمون لماذا يعظمونه ويحبونه فينبغي عليه ان لا يركن اليهم خصوصا الظالمين منهم لئلا
تمسه نار طبعا يميل اليهم على الخصوص اذا احسنوا اليه وكان فقيرا وقد جبلت القلوب على حب من
احسن اليها وقال تعالى ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار فاشتغل بربك ولا تميل
اليهم وكلما اعرضت عنهم واشتغلت بربك زاد شوقهم اليك فان قسم الله لك في مالهم
نصيبا فهو عليك غصبا عنهم فلو تركت اليهم رجا فيما في ايديهم ولا تعرض عنهم لاجل اقبالهم
عليك وانت في هذا المقام وان كان لا يخفى عليك شيء من دسائس النفس الا ان
الخوف اسلم فاحذر وخف ولا تغتر باقبال الخلق عليك ولا محبتهم لك والحق ان صاحب
هذا المقام ليس له ركون الى ما سوى الله تعالى فمتى رأيت في نفسك ركونا فاعلم انك
لست من اصحاب المقام لان صاحب هذا المقام قد اشرف على سلطنة الباطن التي جمع
الظواهر تحت قهرها فكيف يكون له ركون واعتماد على بعض رعيته فافهم واشتغل في هذا المقام
بالاسم الخامس وهو حي فاكثر منه ليزول فناؤك فيحصل لك البقا بالحي فتدخل في
المقام السادس وتترقى من الوقوف على الباب الى منازل الاحباب وكلما اشتغلت بهذا الاسم
زال فناؤك وبقيت بالحي واتصفت بالصفات الكمالية وهو معنى كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به الخ المعبر عنه بقرب النوافل وكل هذا ياتي مفصلا في
المقام السادس واعلم ان من الاسماء اسماء يقال لها فروع وهي الوهاب الفتاح الواحد الاحد الصمد
فاشتغل وانت في هذا المقام بالاسم الفتاح وبالاسم الوهاب مع الاسم الخامس الذي ذكرناه لك وهو الحي
يسهل عليك الانتقال الى المقام السادس الذي انت اليه في غاية الاحتياج وسترى ما فيه من العجائب والله اعلم

Copyright © King Saud University

كنسبة الروح الى الجسد وحالة البقا دوار دها جميع ما ذكر من واردات النفوس وصفات
جميع ما ذكر من الاوصاف حسنة للنفوس المتقدم ذكرها والاسم الذى يشتغل به هذا
الكامل القهار وهو الاسم السابع وهو اعظم المقلعات لانه قد كملت فيه سلطنة
الباطن وتمت به المكابدة والمجاهدة ليس لصاحب هذا المقام مطلب سوى رضوان
مولاه حركاته حسنات وانفاسه قربة وحكمه وعبادة فان رآه الناس ذكروا الله
وكيف لا يكون ذلك وهو ولى الله تعالى بل كان وليا وهو فى المقام الرابع لان
المقام الرابع مقام الاوليا العوام والمقام الخامس مقام الاوليا الخواص والمقام السادس
مقام الاوليا الذين هم خواص الخواص فبحانه لا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع
واعلم ان الاسم القهار من اسماء القطب قالت المشايخ ومنه يمد القطب المريدين ا
الطالبين بالانوار والهدايات والاشارات وقالوا ان مهما حصل فى قلوب المريدين من
الفرح والسرور والجذبات الكائنة بغير سبب فهو من مدد القطب عوضا عن
اذكارهم وتوجههم لربهم وصاحب هذا المقام لا يفتر عن العبادة وذلك اما بجميع
البدن او باللسان او بالقلب او باليد او بالرجل وهو كثير الاستغفار كثير
التواضع سروره ورضاه فى توجه الخلق الى الحق وحزنه وغضبه فى ادبارهم
عن الحق يحب طالب الحق اكثر من محبة ولده الذى هو من صلبه وهو كثير الاوجاع
قليل القوى قليل الحركة ليس فى قلبه كراهة لمخلوق من المخلوقات مع انه يامر
بالمعروف وينهى عن المنكر ويظهر الكراهة لمن يستحق الكراهة ويظهر المحبة لمن
هو اهل المحبة لا ياخذه فى الله لومة لائم يرضى فى عين الغضب ويغضب
فى عين الرضا لكنه يضع كل شئ فى محله متى وجه همته الى كون من الاكوان
اوجده الله تعالى على وفق مراده وذلك لان مراده فى مراد الحق فاذا
اراد شيئا وطلبه من الله لا يخيبه الخاتمة فى بيان صفات المرشد
وبيان اوصافه واحواله ومن يترقى حتى يصلح للارشاد ومن لا يصلح ولو تصنعت
ام

الخوف شيئا فلذلك يجب على كل مؤمن ان يحصل ما يزيل عنه الشبهة والظن ولا
ينبغى للسالك ان يتوغل فى تعظيم العقائد لانه لا فائدة فيه بل ياخذ منه بقدر
ما يحتاج اليه وقد شرحت قصيدة قطب زمانه سيدى ابى العباس احمد
ابن عبد الله الجزائرى رضى الله تعالى عنه شرحا مختصرا مفيدا لا يحتاج من
قرأه الى غيره من العقائد لانه قد اشتمل بحمد الله تعالى على جميع عقائد اهل
السنة والجماعة فمن اراد تحصيل اليقين بسهولة فليقرأه لانه نافع ان
٦٥ شاء الله تعالى وعباراته خالية من التعقيد يفهمه من له ادنى فهم ولنرجع
الى ما كنا بصدده من ان الشيطان يدخل على السالكين من ابواب كثيرة
فيأتيهم وهم فى النفس الامارة ويقوى على قطعهم بما يسمعه من الاقوال
المزينة التى تفسد العقل فان خفتهم الالطاف وعملوا ان هذا الشأن
العاجزين الحمقا البطالين وسلكوا حتى وصلوا الى المقام الثانى وصارت
نفوسهم لوامة اتاهم الشيطان من طرق كثيرة ليقطعهم عن طريق الحق
فمن ذلك انه يحسن لهم ما يصنعونه من الاعمال ويزينه لهم فيدخل عليهم العجب فاذا
دخل عليهم العجب بنفوسهم وعلمهم واعمالهم غرهم وقال لهم المقصود من الطريق
العمل وانتم قد حصلتم عليه فلا حاجة لكم الى العلم ولا الى نصيحة العلماء
لان العالم الذى ينصحكم لينه نصح نفسه فهل يعمل العالم عشر معشار ما تعملون
فان تمكن فيهم بهذا العجب والعياذ بالله تعالى استعظموا انفسهم استحقروا
الناس وساءت اخلاقهم وساءت ظنهم بالغير وصاروا لا يقبلون بالخير من
عالم نصيحة بل يتعبدون على مقتضى عقولهم فيهلكون فى بحار الجهل والعياذ
بالله تعالى ومن ذلك انه ياتيهم ويقول لهم كيف تدعون الصلاح وتدعون
حب الله ورسوله ولا تحجون البيت ولا تزورون النبى صلى الله

عليه وسلم ولهذا ليس شان المحبين فتوكلوا على الله تعالى وحجوا وبهما كان لكم من
الاوراد من الصلاة والصوم والاذكار فافعلوه في الطريق فتحوزوا على ثواب الحج وغيره
فان صمموا لهذه الوسوسة وتوجهوا الى بيت الله الكرم مع فقرهم وفاقتهم وقلة
زادهم وراحلتهم اتعبوا ابدانهم فلم يقدروا على العبادات التي كانوا يفعلونها
فاذا زاد عليهم التعب ومكثوا في الطريق جاءهم اللعين وقال لهم ان الله تعالى
يقبل القضا فلا تضيعوا على انفسكم ولا تحملوها ما لا تطيقونه واذا فاتكم شيء من
الصلاة فاقضوها في مكة شرفها الله تعالى فيمتثلون قوله من عجزهم ويتركون
اداء الصلاة واذا جاعوا ساءت اخلاقهم جاءهم وقال لهم انتم فقرا الحال
وما فرض الله الحج الا على الاغنيا فلا شك ان الخواطر التي خطرت لكم بعثتكم
على الحج كانت من الشيطان ثم فيوقعهم في الندم والسخط وعدم الرضا فتظلم
قلوبهم ويقعون في غيبة الخلق واعراضهم لانهم لا يتصدقون عليهم ولا يشفقون
اليهم وقد لا يبلغون الحج بسبب اشتغالهم بطلب القوت واذا كان الرجل منهم
في البلد سخيا موثرا على نفسه منشرح الصدر حسن الاخلاق يصير بسبب
ما لاقاه من الاحوال بخيلا ضيق الصدر سيئ الاخلاق ووساوس الشيطان
كثيرة وهي انواع متنوعة فمن قدر عليه بافساد عمله افسده عليه ومن لا
يقدر على افساد عمله دخل عليه بعمل افضل من عمله وحسنه له مع انه لا يقدر
عليه لكنه يهون عليه ويقرب له حتى يباشر العمل الثاني وينقطع بسببه
عن العمل الاول ولا يقدر على اتمام العمل الثاني ويحرم العملين وهذا مراد
الشيطان من ابن آدم ومنها انه يقول لاصحاب النفس اللوامة انتم معتقدون
والناس يقصدونكم فلا باس ان تحسنوا اعمالكم ليعتقدوكم فتحصلوا الثواب
فاذا حسنوا اعمالهم بهذه النية صارت معلولة هذا ان عجز اللعين ان يجاوز
لها

لها زاد وسمعة ومنها انه يقول للعابد اخف عبادتك فان الله تعالى يحب العمل الخفي
فيحبك الله ويحبك الناس ايضا لانهم يطلعون على اخلاصك فان تبعه
واخفى عمله بنية محبة الخلق له وقع في الريا ولم يدر فان نجى اصحاب النفوس اللوامة
ومكره واستعانوا بالله على دسايسه وترقوا الى المقام الثالث وهو الذي تسمى
فيه النفس بالملهمة دخل عليهم من ابواب تناسبها لانهم قد بلغوا بعض درجات
العرفان وجاوزوا اماكن من العقبات ولا تغتروا بما زين لهم فيقال لهم قد
تحققتم وعلمتم ان لا موجود الا الله تعالى وانه هو المبدي المعيد ومنه يبدا
الامر واليه يعود ولا تتحرك متحرك الا بقدرته وقد جف القلم واهل النار
للنار واهل الجنة للجنة وهذا الامر لا يعلمه الا الله واما انتم فلا تتعبون
انفسكم بالاعمال الشاقة فدعوا الاعمال للمحجوبين المقلدين ولا تشتغلوا واشتغلوا
بالمشاهدة والمراقبة فان زلت اقدامهم وما اطلعوا على انها دسيسة شيطانية
تركوا الاعمال الصالحة فاذا تركوها واظلمت قلوبهم من حيث لا يعلمون جاءهم
وهو متمكن منهم بسبب ظلمة قلوبهم وقال لهم افعلوا ما بيتم فان الله تعالى
حقيقتكم ما انتم هو وهو انتم وهو لا يسال عما يفعل وانتم لا تسالون عما تفعلون فح
تستحكم عليهم الحجب الظلمانية الطبيعية ولا يروا لهم غير نور ويشربون الخمر وياكلون
الحرام من اي وجه كان من سرقة او قيادة او غير ذلك ولا يخافون من الله لسوء
اعتقادهم وعدم معرفتهم بالله تعالى ولا يزال الشيطان يلعب بهم حتى يتخذوه ربا
من دون الله تعالى وهذا حال من مال الى ارض الطبيعة وصار كلام الشيطان
معينا له على هواه واما المريدون وجه الله والمحبون له فقد تبعوا افعال
نبيه واقواله وسائر الشريعة حتى ماتوا الموت الطبيعي فهولاء كلما خطر بالهم
خاطر فاسوه على افعاله واقواله صلى الله عليه وسلم فان وافق عملوا به

Copyright © King Saud University

والا ردوه وقالوا انه شيطان وقد علموا ان النبي صلى الله عليه وسلم انتقل
بالوفاة ولم يترك شيئا من الفرائض والنوافل ولا سمع هذا عن السلف
الصالح فتحققوا ان كل خاطر لا يوافق الشرع فهو زندقة وكفر وهذا الصر
فاستقاموا على الطريقة فترقوا من هذه المقامات الكثيرة الخطر الى
المقامات العلية فانكشف لهم عن سر الشريعة فرأوه بحرا لا ساحل له وهو
مخزون في ظاهر الشريعة فمن لم يكن متابعا لظاهر الشريعة لا يكشف له
عن سرها ويقع في الزندقة والعياذ بالله تعا قال الله تعالى قل ان
كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله فهذه الآية تكفي للمستبصر
في التزام الوقوف على باب الشريعة حتى ينتقل الى الدار الآخرة
فمن تمسك بالشريعة يصل الى اسرارها ومن اسرارها الى اسرار
الله وخصوصياته التي تقع بينه وبين عباده الذين ليس للشيطان
عليهم سبيل وهذه الاسرار تعرفها اهلها بسبب تنوير بواطنهم واتباعهم
للشريعة ولا يلتبس عليهم فاذا اراد الشيطان تلبيسهم فلا يقدر ٩
ولا يلبس له عليهم سلطان وقد جاء للشيخ عبد القادر قدس الله سره
العزيز وهو في البادية وقال له يا عبد القادر اني انا الله وقد
ابحت لك المحرمات فاصنع ما شئت فقال له كذبت انك شيطان
قال الله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء فانظر ما اعظم الشريعة
وما اسلم من تمسك بها واعلم ان جميع ما تنوع به الشيطان لا يقدر
ان يصل به الا الضعفاء من الناس واما العارفون الاقوياء فانه لا يصل
الا عجايبا سهامه مما ذكر من انواع الاضلال وما ذكرناه من انواع الاضلال
قليل

قليل الى ما يظهر له لعنه الله من الانواع ولا نقدر ايها اللاحي
على ردها الا بالتمسك بالشريعة وصحبة العلماء العاملين والحمد
لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى
آله وصحبه اجمعين في كل لمحة ونفس عدد ما
وسعه علم الله والحمد لله وقد تم تسطير هذه
النسخة المباركة في يوم الاثنين المباركة
١٢٧٦
٢٣ لـ سنة

٦٧